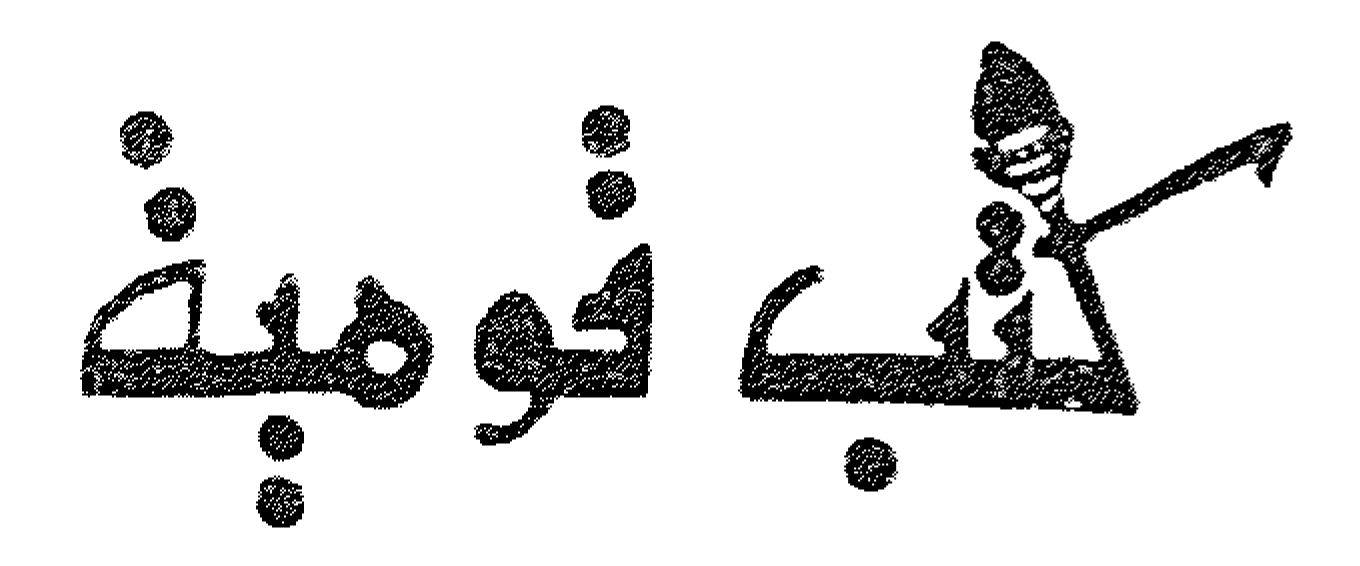


الكتاب ٩٢

أيديولوجية عربية جديدة

بقلم
مصطفى عبد اللطيف السحرتي

الثمن ٤ قروش

الأستاذ الدكتور
عبد العزيز برهام
رئيس قسم اللغة العربية
الأسبوع
الإسكندرية

كتب قومية

الكتاب ٩٢

أيديولوجية عربية جديدة

بقلم
مصطفى عبد اللطيف السحرتي

عبده ممتاز

الثمن ٤ قروش

تمهيد

نشهد فى السنين الاخيرة ازدحام المكتبة العربية فى كثير من بلاد العروبة بكتب ورسائل وصحف كثار متباينة المذاهب والثقافات الفكرية .

وليس فى هذه الكتب ما يتناول الوضعية العربية ؛ أو القومية العربية ؛ أو الشخصية العربية ؛ الا القليل النادر .

وهذه الظاهرة لها دلالتان ؛ مختلفتا الوجه ؛ فهى ان دلت فى وجهها الأول على تلقى الشعوب العربية لمختلف الثقافات ، وعلى حيدة الحكومات العربية الفكرية . وهذا وجه طيب . الا انها تدل فى العمق على حيرة الشعوب العربية وعدم استقرارها الفكرى بل تذبذبها الأيديولوجى . وعلى أن كثيرا من كتابها وأدبائها ومفكريها لم تترشح لهم ايديولوجية مستقلة . أو بمعنى آخر فكرية فلسفية محددة منبثقة من تاريخها وتقاليدها الأصيلة وطابعها الخاص المميز .

ونقصد بالأيديولوجية فى هذا البحث . الاصول الجوهرية الكبيرة التى تستمد جذورها من تاريخ الأمة وفلسفتها . وروحها العربى المتميز القسمات ، والتى تتغير وتطور بتطور العصر وتقدمه وتصير عقيدة متأصلة فيها يقوم على اضوائها منهاج النهوض الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، والعلمى والأدبى والفنى .

ولن يثمر أصلاح أو تغير جزئى أو انقلاب اجتماعى ثمرته المرجوة فى أى بلد من البلاد العربية ، اذا لم تدعمه فكرية فلسفية رشيدة تنتظم مناحى حياتها المنوعة وتنير الطريق لاهدافها التقدمية .

معوقات العقيدة

واذا كان يبدو أنه من الصعوبة ايجاد العقيدة التقدمية فى بلاد غطت على حضارتها المشرقة الظلمات قرونا طويلة ، ووقف نمو شخصيتها الاستعمار التركى أو الانجليزى أو الفرنسى . ردحا

من الزمن فجعلهــا تقبل وضعيتها الذليلة وتســكن له كالبقرة الحلــوب الذلول .

فقد صار من السهل اليوم ، بث هذه العقيدة ، بعد أن حصلت بعض البلاد العربية على استقلالها ، وهبت اليقظة فى باقى البلاد العربية لرفع النير الاجنبى عنها ، فضلا عن وجود كوكبة فى اغلب البــلاد العربيــة من الرواد والمفـكرين ، والادباء الاحـــرار الذين يجاهدون الوضعية الفاسدة ، ويضعون المبادىء فوق كل اعتبار ، والحقائق فوق كل تراث اجتماعى بال .

ومهمــة هؤلاء الرواد شــاقة عســيرة ، تتطلب نفاذ البصيرة والشــجاعة النــادرة والجهود المضــاعفة ، والاذهان الحصــيفة الناضجة المتسامحة ، لبث مبادىء التقدم فى العاديين من الناس ، وايجاد التفاهم بين أصحاب الفكريات المتضاربة فى الشرق العربى ، وهذا التضارب هو فى اعتقادنا من عوامل التأخر والتنــافر بين أبناء البلاد العربية وبين بعض طوائفها .

تضارب الفكريات

فالملحوظ فى شرقنــا العربى ، توزعــه بين فكريات متضــاربة تختلف قوة ووهنا ، فهناك اتجاه ثيوقراطى طائفى ينزع الى مجاراة التقليديين ، والسير على منوالهم .. واتجاه ديموقراطى يجارى الغربيين وينبع من تقاليــدهم .. واتجاه اشــتراكى متطرف أو مادى ثورى ينزع الى مسايرة الكتلة الشرقية ، وانتهاج نهجها فى كل صغير وكبيرة ..

الفكرية الديمقراطية الغربية

هناك فريق يرى فى الفكرية الغربية الديموقراطية ، ونعنى بها فكرية غرب اوربا ، المثل الاعلى للقدوة ، ذلك لان هـذه الفكرية تعتمد الحرية الفردية والكرامة الانسانية ، والمساواة القانونية ، والفتوحات العلمية . هى فكرية عقلية فى الغالب تعتمد على حقائق العلم والتقدم المادى ، وقد كان من آثارها ازدهار الصناعة فى البلاد الغربية ، ورواج التجارة .

ولكن هذه الايديولوجية اختلطت بنزعة التملك والاستغلال ، ودانت بالقوة وديانة المصلحة ، وكان من آثار هذه النزعة استغلال الطوائف الشعبية ، من فلاحين وعمال ، ومثقفين ، واستعباد الامم الصغيرة واستغلالها ، ومعاملتها معاملة مجردة عن الانسانية .

وقد تأثرت هذه الايديولوجية بمذاهب منوعة متضاربة ، تأثرت بمذهب فرنسيس بيكون الانجليزى (١٥٦٠ — ١٦٢٦) ، ورينيه ديكارت الفرنسى (١٥٩٦ — ١٦٥٠) اللذين كانا يعتقدان أن التقدم المستمر هو ثمرة تطبيق العلم على الاعمال البشرية . وتأثرت بالفيلسوف الانجليزى جون لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) ودافيد هيوم (١٧١١ — ١٧٧٦) اللذين وضعا بذرة النزعة التجريبية ، وتقوت هذه النزعة فى القرن الحاضر حيث تتغلب النزعة الوضعية المنطقية .

والى جانب هذه النزعة التجريبية وجدت النزعة العقلية فى فرنسا والمانيا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وهى نزعة تؤمن بالعقل وحده ، وكان من روادها الفيلسوف الهولندى اسبينوزا (١٦٣٢ — ١٦٧٧) ، والفيلسوف الالمانى ليبنتز (١٦٦٤ — ١٧١٦) ، وكلاهما رجع الى العقل فى تفسير كل شىء مع اختلافهما فى التعليلات ، ومن ثمرات هذه النزعة العقلية ، ازدهار البحث الحر .

والى هاتين النزعتين ، وجدت نزعة مثالية مناهضة للعقلية ، بوساطة الفلاسفة الالمان كانت وهردر وفيخته ، وشيجل وكوزان ،

الذين ارتأوا أن الله عامل أصيل فى التقدم الانسانى ، فالفيلسوف كانت كان يرى أن العقل والحواس ينبوعا المعرفة ، أى أن المعرفة تقوم على الفهم وعلى التجربة ، وكان لهذه النزعة الرومانتيكية أثرها فى الادب والفن والسياسة والفلسفة الاوروبية .

وهذه النزعات المختلفة قادت الفكر الاوروبى قرونا ، ووجدت نزعات اخرى اثرت فى الايديولجية الاوروبية تاثيرا كبيرا ، وهى نزعة السيطرة والقوة التى نادى بها أمثال نيتشه الالمانى الذى دان بالقوة ورفض الرحمة والانسانية ، ورأى أن التواضع والخشوع من أدب العبيد » وبشر « بالوحش الاشقر » والفيلسوف الالمانى فيخت الذى بشر بالعنصرية فكان يقول موجها قوله للالمان « اذا هلكتم كأمة فكل أمل للخلاص من أعماق الويل ، سوف ينهار » واذا غرقتم فكل البشرية ستغرق معكم دون أمل فى البعث مستقبلا » والى هؤلاء نذكر الفيلسوف الالمانى « هيجل » الذى كان يكبر من شأن الحرب ، ويرى أن المجتمع وحده هو الموجود ، وأن الافراد ليسوا سوى تجريدات ، وأن الدولة هى الفكرة الالهية على الارض .

وهذه النزعة الاخيرة ، نزعة القوة » وحب الحرية والاستغلال سادت الايديولوجية الغربية ؛ أخيرا ؛ فلقيت الطبقات العاملة ظلما من الطبقات الحاكمة البرجوازية » كما تجلت فى معاملة القوميات الصغيرة معاملة مجردة من الانسانية ، والرحمة والعدالة

وتتكشف هذه الايديولوجية فى أعمال الدول الغربية فى التهام خيرات الشعوب الضعيفة وابتزاز خاماتها ومواردها ، والضحك عليها فى شراء منتجاتها ؛ كما يتضح ذلك من شراء القطن المصرى بثمن بخس ؛ والاستيلاء على نفط الامم العربية بأسعار منخفضة ، وأدهى من ذلك عدوانها على هذه الامم بالقوة الغاشمة من اجل حماية مصالحها » واقامة احلاف عسكرية كحلف بغداد لحراسة استعمارها المكشوف أو المبطن ، ولا يزال يرن فى الذاكرة عدوان انجلترا وفرنسا على مصر فى آخر أكتوبر عام ١٩٥٦ عدوانا بربريا » ينم على عودة الوحش الاشقر الذى بشر به نيتشه ، وعلى أن الايديولوجية الديموقراطية . قد فقدت الاس الروحى الذى تقوم عليه الديمقراطية أصلا . لأن الايديولوجية الديموقراطية

تعتمد العدالة وكرامة الانسان ، بل تنزل عن حقوقها للاخرين، وتعمل على أسعادهم .

* * *

ومع هذا فان انحراف الحكومات الغربية لايمنعنا من اعتناق الايديولوجية الديمقراطية السليمة ، ومسايرتها فىنزعتها العقلية العلمية ، والتعرف على جوهر حضارتها وعلى روحها وفلسفتها

ويقول الانصاف : ان تأثرنا الفكرى والمادى والثقافى بالغرب كان أقوى من تأثرنا بدول أخرى . وثقافتها الفكرية والماديةماثلة فى مظاهر حياتنا . وتأثرنا بالنظم السياسية فيها لايمكنانكاره .

ونعتقد أنه من الخير لنا اعتياد الروح الديمقراطى النقىالذى يحترم كرامة الانسان العربى ، ويقر مبدأ الحرية والمساواة ؛ وتكافؤ الفرص فى تهذيب الشخصية الفردية ، لا التكافؤ فى خدمة الدولة وطاعتها طاعة عمياء ، أو التكافؤ فى عزلة الفرد عن أخيه وعدم الاهتمام به .

وفى ظل الديموقراطية السليمة ينطلق العقل العلمى ، العقل الذى يعال ويحلل ، ويبدع ويخترع ، العقل الذى لايتخدر برأى من آراء السلف ؛ مهما تكن قيمته فى عصره ، العقل الذى لاينظر الى الحقيقة كأنها شىء ثابت لايتغير . بل يرى فى الخير والشر والجمال والقبح درجات .

وفى ظل الحرية الديموقراطية ، يجول العقل كل مُجال ؛ ويجازف ويغامر ، ليصل الى الجديد فى المعرفة النظرية أو السياسية ، أو المسائل الاجتماعية والاقتصادية .

ولما كان تراثنا الثقافى بالمعنى الواسع قد تأثر الى حد ما بايديولوجية الغربية ، فجدير بنا أن لا نتجاهل خير مافى هذه الايديولوجية من اتجاه عقلى علمى ؛ واتجاه ديموقراطى سليم . يشكلان عنصرا من عناصر الايديولوجية العربية التقدمية التى ننادى بها ؛ وسوف نبسط القول فى هذا المجال لاحقا .

الفكرية الطائفية

وهناك فريق فى مصر ، وفى بعض البلاد العربية ؛ يؤمن انسرا أو جهرا بالفكرية التيوقراطية أو الطائفية الدينية ، وأن العودة الى هذه الفكرية هو عود الى الجنة الموعودة ، ويريد هذا الفريق تطبيق فكريته على سياسة الدولة ، واقتصادها ؛ وأوضاعها الاجتماعية ؛ ومشكلاتها المعاصرة ، انه يرى فى الماضى كل الحاضر ؛ ويحاول أن يستنبط من احداثه الموغلة فى القدم أحكاما تطبق على أحداث العصر وحاجياته ، وما يموج فى محيطه من مشكلات . وهو بهذا يعذب الماضى عذابا شديدا . ويحاول ان يرتفع بطريقة مصطنعة فى الحاضر .

وهذه الفكرية التى سادت فى مصر قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ لاتزال تجد لها أنصارا فى بعض البلاد العربية ، وفى عقول طائفة من المتدينين ؛ وبعض رجال الدين .. وبهذه الفكرية يصبح التقدم مستحيلا، لاختلاف الوضعية المعاصرة فى كل بلد عربى عن الوضعية الغابرة ؛ ولتفاوت الثقافة ؛ وتباين الامزجة والعقلية .

وقد تجمع لنصرة هذه الفكرية ركام كبير فى العهد الماضى ، من المؤلفات ؛ فقد رأينا احدهم ينكر فى كتابه الحديث الدستور والبرلمان ، ويعدهما مهزلة ؛ أو كما يقول فكاهة يتسلى بهما الفارغون ؛ ورأينا آخر يصف « القومية » فى كتابه بأنها نعرة خبيثة ؛ ومؤامرة على قتل الدين « وثالث يرى أن « النظام الاقتصادى » نظام قائم بنفسه ؛ ويمكن تطبيقه فى العصر الحاضر

وانبعث احد القانونيين منهم الى الحملة على القوانين الوضعية وعلى النظم الادارية المتحضرة ؛ فذكر فى سفر ضخم له أن بعض القوانين الجنائية باطلة بطلانا مطلقا .

ولم تقف أقلام الكتاب عند هذا بل تعدتها الى الميدان الاجتماعى فنادت بحجاب المراة والوقوف فى وجه دعوة المراة لحقوقها العصرية ؛ ونعتت هذه الدعوة بأنها « دعوة ماجنة » ؛ وخلاعة

وفجور ؛ لايرضى بها شعب له كرامة وتاريخ » !

ومثل هذه الاراء تنكرها روح التقدم ؛ وروح الدين معا ؛ فلم يقل ثقة من الثقات ان الدستور والنظم الديموقراطية تجافى روح دين من الاديان ؛ لانها ترمى الى حرية الافراد ومصلحة الجماعات وتقدمها ؛ فنرى المرحوم الاستاذ عبد الوهاب خلاف يقر مبدأ الشورى وحكم الدستور (١)

ولم يقل دينى واسع الافق ان القومية مؤامرة نقتل الدين ؛ لان القومية عامل قوى فى توحيد طوائف الامة وتجانسها وتضامنها ، وهى شعور وطنى زاد ارهافا بوجود الاستعمار السياسى والاقتصادى . فهى كما يقول الاستاذ الكبير محمد بهجة الاثرى (٢) من أهم الحركات فى العالم الاسلامى ؛ وقد أفاض خالد محمد خالد فى كتابه « من هنا نبدأ » فى الدفاع عن القومية ووجوب اعتناقها وتنميتها ، لا جهادها ومناضتها ؛ لان « أية حكومة قومية ؛ تتسم بالقومية والوطنية ، أقدر من الحكومة الطائفية التى لا تمثل وحدة الامة تمثيلا كاملا (٣) .

والقول بأن نظاما اقتصاديا غابرا يمكن تطبيقه على المجتمع المصرى قول عاطفى متحمس يدور حول نفسه ، وهو أشبه بالصواريخ التى تروع الشاعر ، وتنمحى آثارها بعد اطلاقها ؛لان النظام الاقتصادى نظام متغاير فى كل عصر ، ومقصور على ماتقتضيه حاجات الناس وما يحقق مصالحهم .

والقول بالانتقاض على القوانين الوضعية لمخالفتها لدين من الاديان ، لم يقل به دينى بصير ؛ لان القوانين ينظر فيها الى اصلاح الكافة وخيرها ، وهى تتطور بتطور الحاجة والمصلحة ، واقتضاء الضرورة ؛ فلقد روى المؤرخون أن أبا جعفر عرض للامام

---

(١) مجلة لواء الاسلام

(٢) كتاب « العرب والحضارة » للاساتذة احمد زكى ؛وصبحى المحمصانى والخالدى ؛ والاثرى ص ١١٩ ، ١٢٠ – ١٩٥١ دار العلم للملايين – بيروت

(٣) كتاب من هنا نبدأ – ص ١٥٦

مالك رغبته فى اعتبار آراء الامام قانونا للدولة ، فأجاب :

« يا أمير المؤمنين لاتفعل ـ فقد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث وروايات ؛ وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ، فدع الناس؛ وما اختار كل بلد لانفسهم (١) .

فكل تحويل وكل تجدد تشريعى توحى به الظروف ، كما جرى فى أمور الاحوال الشخصية والجنائية وسواها انما هو من روح تعاليم الدين ، لان الصالح العام يدعو الى ذلك ؛ والصالح العام نبع من الدستور الاسلامى (٢) .

وأما القول بانتقاص حقوق المرأة والتشنيع على مطالبتها التسوية بالرجل فى الاعمال العامة ، فهى آراء متحجرة جامدة معرقلة للتقدم ؛ ولا تتفق مع روح الدين ، الذى أعطى المرأة فى فجر الاسلام حقوقا لم تكن تحلم بها ؛ بل حقوقا تجاوزت ظروفها الاجتماعية . وقد أيد هذه النظرية التقدمية طائفة من المفكرين الاسلاميين ؛ ونذكر منهم الاستاذ المرحوم محمد فريد وجدى . اذ رأى فى كتابه « الاسلام دين عام خالد » امكان نيل النساء حقوقهن الانتخابية ، والوصول الى دور النيابة قياسا على المساجلة التى جرت بين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والمرأة التى عارضته فى المسجد فى رأيه بتحديد مهور النساء والحيلولة دون المغالاة فيها ؛ وانه ليقول فى الكتاب سالف الذكر (٣) :ـ

« أفلا يمكن أن تعد هذه سابقة فى الاسلام ؛ اذا دعانا داعى التطور الاجتماعى فى يوم من الايام أن نمنح نساءنا حقوق الانتخاب والحصول على النيابة فى الهيئات التشريعية ؟ »

وجلى هذا الرأى من بعده خالد محمد خالد فى كتابه « من هنا نبدأ » (٤) وقال :

---

(١) كتاب « التشريع الاسلامى » للاستاذ جلال الحنفى ص٤٥
(٢) كتاب « الاسلام الحى » للدكتور أحمد زكى أبو شادى ؛ نشر الاستاذ رضوان ابراهيم .
(٣) ص ٢٤٦ (٤) ص ١٩٦

« ان الاسلام بمبادئه وتطبيقاته يقف بجانب المرأة ، ويبارك وجهة النظر فى اعطائها حق المساجلة فى مجتمعات الرجال ؛ ففى مسجد الرسول دارت مناقشة علنية فى موضوع جنسى : وكان الرسول شاهدها ، وفى عهد عمر انشقت من الصفوف امرأة فى المسجد وأبدت رأيها فى جرأة وحصافة فى مشروع تحديد المهور، وأخذ عمر برأيها قائلا : أصابت امرأة وأخطأ عمر ! » .

ومما تقدم يتضح ان هذه الايديولوجية الطائفية هى فكرية رجعية لايرضى عنها المفكرون العصريون ، ولا الدينيون الذين يدركون جوهر الدين النقى ؛ ويعرفون روحه المتطور ؛ الذى يقر مبدأ الصالح العام ؛ كما يعرفون أنه عامل من عوامل التقدم ، وأنه قوة روحية خلاقة لتغيير المجتمع ، وايجاد جمعية انسانية متآخية ؛ وانه رافد من الروافد المهمة لايديولوجيتنا الجديدة ؛ كما سنوضح قريبا .

الفكرية المادية

وهناك فريق ثالث منا يعتنق الفكرية المادية الديالكتاكية ويرى فيها لب السعادة والتقدم ، وهذه الفكرية تعتمد مادية الوجود ؛ والاهتمام بحاجيات الجماعات الحقيقية ؛ واستخدام المعرفة العلمية بالطبيعة والمجتمع لتحقيق هذه الحاجيات ؛ ولها نظريات تضعها موضع التنزيل : منها نظرية الجبرية الاقتصادية، ونظرية حتمية التقدم ، فالنظرية الاولى تؤكد أن طريقة الانتاج في كل عصر يقوم عليها سياسته وفكره وثقافته . والنظرية الثانية أن التقدم محتوم لان التناقص بين وضعين ، الوضع الايجابي والوضع السلبي ، يؤدى الى الصراع بينهما ، ويؤلف من صراعهما وضعا جديدا تقدميا .

ومن مقتضى هذه الايديولوجية ، سيادة العمال ، وذلك بالوصول بطريق العنف والثورة الى المراكز السياسية ؛ بالقضاء على المستغلين الراسماليين ، وتحرير المجتمع من أغلال الاقتصاد الراسمالي .

ومن مقتضاها ايضا تقلص الفرد في الجماعة ، والايمان بألوهة الدولة ، والخضوع للحكام ؛ وديكتاتورية الحزب ؛ لان رأى الفرد ؛ كما يقولون مخطىء ، والحزب دائما على صواب ؛ لان للحزب حكمته .

وتبعا لهذا ، نجد هذه الايديولوجية لا تهتم كثيرا أو قليلا بالعنصر الروحى ، وتنظر الى المادة كعامل مؤثر في كل شيء ؛ وأن العامل الاقتصادى هو العامل الوحيد الفعال في التطور والتقدم ، وما يقع في التاريخ أو مايحدث من ظواهر اجتماعية مرجعه الى هذا العامل .

ولسنا في مجال بسط الحديث في ان هذه الحقائق ليست كلية الثبوت ولكن يمكن القول في ايجاز بأن العامل الاقتصادى ليس العامل الوحيد في التطور والتقدم ؛ لان هناك عوامل أخرى روحية

وسيكولوجية لها أثرها فى التغير الاجتماعى ، ولها آثرها وفاعليتها فى الظواهر الاجتماعية والسياسية .

فظاهرة الثورة مثلا التى يظن أنها نتيجة محضة للعامل الاقتصادي قد تكون نتيجة لعوامل أخرى مثل انحلال الانظمة السياسية ، أو وجود تعصبات دينية ، أو نعرات جنسية ؛ أو تكون راجعة الى المرونة الاجتماعية الحادة ؛ وهذا ما ذكره سوروكين فى فصل له عن « سيكولوجية الثورة » .

وظاهرة الانتحار مثلا ، ليست نتيجة سوء الحالة الاقتصادية فقط ، بل قد تكون ثمرة من ثمرات الانحراف السيكولوجى ، أو الميول المنحرفة ؛ اذ أننا نجد من المنتحرين أغنياء وفقراء على السواء . ويؤيد ذلك ماجاء فى كتاب « تطور المجتمع » للكاتب الانجليزى براون ، اذ قال :

« ليس سبب الصراع فى المجتمع اقتصاديا ، وبيئيا فقط . بل هو انفعالى أيضا . »

واذا رجعنا الى نفوذ بعض رجال الحكم من الطغاة نجد ان هذا النفوذ لايقوم على العامل الاقتصادى : بل يقوم على عامل سيكولوجى فعندما وصل هتلر الى الحكم بمناصرة الرأسماليين ، لم يخضع لاية سلطة . وتمكن من الحكم بمعاونة طوائف كبيرة من الشعب، ومن بينهم العمال : ومن هنا يبدو ان الرغبة فى السلطة لذاتها . قد يكون لها أثر فى التغيير الاجتماعى ، أقوى من العامل الاقتصادى

بل اذا رجعنا الى التجربة السوفيتية ذاتها ، فانا نجد أنها أوجدت طبقة ممتازة : طبقة من الحكام البيروقراطيين ، ولم تثمر قيما خلقية عليا ، بل انها عدت الخلقية ظاهرة طبقية ؛ تختلف باختلاف النظام الاقتصادى للمجتمع .

واذا كانت هذه التجربة صلحت لبيئات بعينها وأصلحت الماضى المتعفن فيها : فاستأصلت القيصرية العاتية ، وتحررت من النفوذ الاجنبى وفتحت أبواب العمل للمتعطلين ورفعت مستوى الحياة ، فان الشعب العربى لايجوز له مجاراة هذه الايديولوجية ، لما فطر عليه من روحية : وميل شديد الى الحرية؛ والبعد عن العنف واحداث الثورات فى سبيل أهدافه الاجتماعية،

والنزوع الى التعاون بين طبقاته .

وهذ لايمنعنا من التأثر بروح هذه الايديولوجية : بايجاد نظام اشتراكي معتــدل للتخفيف من حدة الرأسماليــة ، والتقليل من الفوارق البارزة فى مستوى الطبقات المعيشي ، اشتراكية لا تنظر الى الناحية المادية فحسب ، بل الى المثالية الخلقية ، التي تتواءم من السيكولوجية للقومية العربية . كما تتواءم مع الديموقراطيــة الحقــة .

فتقوم الاصلاحات بوساطة حكومات ديموقــراطية رشيدة تقيم ثورة سلمية من أعلى كما يقولون . وكما حدث فى انجلترا بما قامت من اصلاحات اجتماعية وسياسية . وتشريعــات ضد الفقــر . وماقررت من ضمانات اجتماعية للعمال . وما فرضت من ضرائب متصاعدة على اصحاب الدخول الكبيرة .

أو كما فعلت البلاد الديموقراطية الصغيرة المتقدمة مثل السويد والدنمرك . فقــد سارت حكومات السويد بتجربة طيبة لمراقبــة الرأسمالية سميت «بالطريق الوسط» **Middle Way** وقوامها مراقبة النشــاط الاقتصــادى فى البلاد وادارة الحكومة للمناجم والقوى الكهربائية والمواصلات . وغيرها من نواحى النشاط .

وكما فعلت حكومة لدنمرك الكثير للفلاح الصغير . وتشجيعها التعاونيات لصالح المستهلك والمنتج . حتى بلغ مســتوى الافراد المعيشى أرفع مستوى .

فليس بالعنف . ولا بالثــورة يقام الاصلاح والتقدم فى البلاد العربية . انما يقام بالطريق الدستورى السليم . يقام بثورة الحكومة السلمية . وتغير عقليــات الحكام . وفهم التيارات التقدميــة السائدة . والتحول من الركود الى الحركة والوثبة . وفى هــذا يقول س. م. موريس فى كتابه « الديموقراطية الانجليزية » :

« ان الزمن قد تغير . وانجــلترا الرأســمالية المحافظة . قد تغيرت كليــة عن ذى قبل . وتقــدمت ديموقراطيتها . وعدلت البورجوازية عقليتها . حتى تمكن العمال من الوصول الى مقاعد البرلمان . وقيادة زمام الحكم . وتقارب الغنى والفقر . بعد برزخ واسع كان يفصــل بينهما . وذلك بفضــل الخدمات الاجتماعية

العظيمة التى قامت وتقوم بها الوزارات الانجليزية المتعاقبة » .

ويقول الكاتب الامريكي ماكيفير . فى كتابه «الاسوار التى نحميها» .. « ان الشعب اذا أراد زحزحة النظام الرأسمالى عن عرشه . ففى مكنته أن يفعل ذلك بالطريق الديموقراطى . ولاحاجة به الى الثورة بل عليه التصويت ضده » .

فتجاوب الحكومات مع حاجات الشعب وامانيه . هو السبيل القويم الى الاصلاح والتقدم .

فاذا وقفت الحكومات دون حاجات الشعب أهتزت مقاعدها .. وذهب النظام الذى تحميه . وتحولت الى النظام الديكتاتورى . وهذا ما حدث عندما آل النظام الديموقراطي السياسى فى بلاد أوروبا الشرقية . الى الركود والصلابة والخيبة . فقد تحولت المجر وهى بلاد الفلاحين الى النظام الديكتاتورى . عندما تفاقمت أحوال الطبقة الزارعة والعاملة فيهما . ووصلت درجة بالغة من التدهور والفقر .

وعندما فشلت الديموقراطية فى بولندة . تحولت فى عام ١٩٢٦ الى النظام الديكتاتورى . وكذا تحولت يوغوسلافيا الزراعية الى هذا النظام عندما استعصى على الحكام الديموقراطيين حل مشكلاتها الزراعية . وكثرت الصراعات السلالية .. بين الكروات والسلاف والصرب . مما دعا الملك فى عام ١٩٢٩ الى اعلان الديكتاتورية .

واذا تتبعنا الاسباب التى آلت ببلاد اوروبا الشرقية الاخرى كرومانيا وبلغاريا الى الديكتاتورية . وجدنا أن أسباب تحولها الى الديكتاتورية يرجع الى كبح جماح الفلاحين والطبقات الصغيرة فيها وعدم تجاوب حكوماتها الديموقراطية مع ارادة شعوبها . وفهم مطالبهم والعمل على رفع مستواهم الاقتصادى .

ولهذا نعتقد أن الاخذ بالنظام التقدمى الذى يجمع بين النظام الديموقراطى الحر والنظام الاشتراكى المعتدل . أى الاخذ بالايديولوجية . التى توفق بين حرية الفرد وكرامته وانسانيته . وقيد هذه الحرية من اجل تقدمه المادى .. هو السبيل الامثل للتقدم العربى المنشود . وسنبسط الحديث فى هذه الناحية لاحقا

الأيديولوجية الجديدة

وهذا التضارب الفكرى الذى اوجزنا الحديث عنه ان دل على شىء فانما يدل على التخبط والحيرة . وضيق الافق . ولا مناص لنا للخروج من هذا التخبط الا باعتناق فكرة أصيلة متميزة . تكون نبراسا لنا فى النهوض الحقيقى .

فكرية تستمد جذورها من اصلح ما فى الماضى من تقاليد . وأجمل ما فى الحاضر من مواضعات . وامثل ما نصبو اليه فى القابل من تقدم وارتقاء . .

فكرية مستقاة لا تقلد فكرية بعينها من الفكريات السالفة . فكرية تنبع من الروحية الشرقية المهذبة . ومن تجارب الحاضر . ومن الروح التقدمى السائد فى البلاد المتحضرة . اى تجمع الى القيم الروحية العالية . القيم الديموقراطية . والقيم المؤهلة للتقدم الاقتصادى . بما تنطوى عليه من فتوحات ومبتكرات صناعية .

وتترابط هذه القيم . وتتوحد فى وحدة متينة متوازنة لاتطغى قيم منها على قيم أخرى . بل تسير متساندة متعاونة بفضل التفاهم السمح . والعقل المفتوح . .

وفى ظلال هذهالفكرية تتقوى الفكرةالقومية . وتضمحل النعرة الطائفية . وتنتعش الحرية الفكرية المنجبة للاصالة والابداع . . ويرقى المستوى المعيشى للافراد والجماعات .

ولن تقوم وحدة قومية فى ظل ايديولوجية ثيوقراطية لاختلاف الاديان فى كل امة عربية . ولن ينتشر رخاءولا طمأنينة فى ظل ديموقراطية سياسية ضيقة الافق . ولن تهدأ نفوس . ولايسود امن وطمأنينة فى ظل نظام ديكتاتورى استبدادى . يؤمن بالقوة . وينكر مبادىء الحرية . ويعتنق مبدأ الوهة الدولة وحكم البيروقراطية الحكومية .

ولقد رأينا فى تاريخنا القريب قبل حدوث ثورة يوليو ١٩٥٢ كيف كانت حالة مصر . وهى فى شد وجذب بين فكريات متناقضة متصارعة . فكرية ثيوقراطية غامضة لاتعرف لها أهدافا محددة . وفكرية ديموقراطية سياسية بتراء لا تعرف الاصلاح الاجتماعى ولا العمل الايجابى لتحسين حال الطوائف الصغيرة . وفكرية اشتراكية فشية منحرفة . كانت تثير العداء بين الطبقات وتعلن الحرب على الاحرار من المواطنين . وتعمل على تجريح اشخاصهم وتشويه سمعتهم بالحق وبالباطل . وفكرية اشتراكية متطرفة. تسبق الزمن . وتحاول أن تضع البذرة فى الصخرة العاتية . فكرية مستوردة من بلاد لاتتشاكل معنا فى تاريخ ولا تقاليد . ولا مزاج . ولا واقع سياسى أو اجتماعى او اقتصادى .

ويمكن القول . فى اطمئنان . بأن الطريق اصبحت معبدة فى بلاد كمصر للفكرية الجديدة . بعد ان انطفأت جمرات الفكريات المتضاربة بعد ثورة يوليو١٩٥٢ . بعد بزوغ الوعى الجديد فى عدد من شعوب البلاد العربية . مثل سوريا ولبنان . والعراق والاردن .

واضحى فى عنق النخبة العاملة فى البلاد العربية تقليب الرأى فى أمثل المبادىء التقدمية التى يقوم عليها بناء الكيان الاجتماعى والاقتصادى فى كل بلد عربى . كما اضحى من الواجب أن نترك رواسب الفكريات السابقة . وأن لا نقف فى صلابة ذهنية متأثرين بأية فكرية سالفة . بل يجب التفاهم والاتفاق على هذه المبادىء الجديدة . وفى جوها يمكن التقريب بين الفكريات المختلفة . اذا صفت النيات . وتفتحت القلوب والعقول للوفاق . من اجل الاهداف السامية التى نطمح اليها .

ولن ينكر علينا أحد الاتفاق على مبادىء هذه الفكرة الجديدة وترسيم اطارها ووضع منهاج لها . ويرى الكتاب التقدميون انه لا غضاضة على اى امة أن تشكل فكريتها حسب مزاجها وطبيعتها وواقعها الحاضر . وقابلها المرجو . دون مسايرة فكرية بعينها . يقول الكاتب الروسى ا. م ليمين فى كتابه « الاستعمار اليوم »(١)

---

(١) « الاستعمار اليوم » ا. م. ليمين

« ان الشعوب التى تخلصت من النير الاستعمارى أو التى تحارب لتحقيق حريتها . يمكن أن تكون لها طرق مختلفة فى فى الحياة والعقائد والفكريات . ويمكن أن تتصور بطرق مختلفة المجرى الذى سيأخذه التقدم انسانى فى المستقبل »

وهذا القول ومثله . تضعه تحت بصر الجيل العربى الصاعد ليدرك أن من الخطل التعصب تعصبا أعمى لفكرية مستوردة . وان من الواجب الحتمى التفكير فى فكرية ملائمة للبلاد العربية . فكرية تنطوى على احداث تغيير ما فى التراث الاجتماعى من فساد وانحراف . وحل ما يواجه واقعنا السياسى والاجتماعى والاقتصادى من عقبات ومشكلات . لاقامة كيان اجتماعى قوى وطيد .

ديناميكية الآيديولوجية الجديدة

وهــذه الايديولوجية التى رســمنا خطوطا عامة لها . يلزم أن تؤمن لا بحتميــة التغير . بل بديناميكية التغـــير . فالتغير حتمى لامفر منه فى الآراء . والمنظمات الاجتماعية والآداب والعلوم والفنون ويحدث هذا التغير فى بطء واناة . كما يحدث فى سرعة وانطلاق . يحدث بفعل الزمن . كما يحدث بفعل الانسان . وفعــل البيئة . والتقدم البطيء هو الذى يعتمد كليــة على الزمن . أما التقــدم السريع الواثب . فيعتمد على فعــــل الانسان العامل الناهض . وعلى وعيه الواسع . وتأثره بالثقافات المتحضرة التى حوله . وعلى البيئة المتجاوبة وهو أشبه بالبذرة التى توضع فى الارض السوداء . فتتحول نبتا أو زهرة . بما فيها من خصائص . وبما يحيط بهـــا من طبيعة منجبة . ومن تفتح الانسان الذى يعرف كيف يرعاها . وينميها ويزكيها .

فهناك عوامل معاونة على التغيــــير . منها العــامل الوراثى . والعامل المــكانى والعامل الروحى والثقافى . والعامل الانسانى . وهذان الاخيران هما اهم عاملين فى ديناميكية التغير بصفة عامة .

وهذه العــوامل تتحد معا فى احداث التغيير . ولن يقوم عامل بعملية التقدم الديناميكية . دون اشتراك العوامل الاخرى .

فالعامل الوراثى والمكانى يعاونان على التغيير فى خفاء وكمون . ذلك لان الامزجة والعقليات والسلوك والشخصية تعتمد كما يقول ج . و . البورت فى أحوال عديدة على المورثة Geres فالسمات الجســمية والنظام الغــددى تورث عن الآباء . كما تورث عنهــم السمات العقلية والفنية . وتورث السمات القلبية فى الغالب عن الامهات . وهذه حقائق علميه لم ينكرها حتى السلوكيون الذين يعزون الى البيئة كل تأثير فى الشخوص . اذ انهم ســـلموا بأثر الوراثة فى التكوين الجسمى .

فالوراثات لها آثارها فى الافراد والجماعات . وفى ظهور الموهوبين والعباقرة الذين يقومون بدور مهم فى التغيير والتقــــدم البشرى

وكذلك يلعب العامل المكانى دوره الخفى فى الافراد والجماعات فالعائشون على سواحل البحر يختلفون . ويتغايرون نوعا ما فى التكوين الجسمى والفكرى . بل المزاجى والخلقى عمن يعيشون

فى المناطق الجبلية او السهلية . والعائشون فى الصحراء يختلفون فى مزاجهم وعقليتهم عن العائشين فى المناطق النهرية . والعائشون فى المناطق المعتدلة يختلفون فى المزاج عن سكان المناطق الاستوائية

ويذكر كرتشمر فى كتابه « سيكو وجية العباقرة » ان مولد اغلب العباقرة كان فى المناطق الاوروبية المتوسطة وهى مناطق الخصب . والتى شعت منها انوار الثقافة الاوروبية منذ العصور الوسطى الى اليوم . كما ظهرت فى مناطق الآنب أى فى جنوب ووسط المانيا وفرنسا وايطاليا . العبقريات الفنية الخلاقة من امثال باخ وهاندل وشوبان وواجنر وموزار وشوبير . على حين أن المناطق الشمالية البعيدة كالسويد واسكتلندة والمانيا الساحلية تفتقر الى مثل هذه العبقريات .

ولا يستطاع التسليم بمثل هذا الرأى . لان العاملين السابقين لابد ان يرتبطا بالعامل الثقافى. الذى يخمر عجينة التطور والتقدم. ونقصد بالعامل الثقفى معناه الواسع . أى الثقافة المادية والمعنوية والادبية جميعا وما يتصل بها من فكريات ومن نماذج الثقافة المادية ، الآلات الصناعية والآلات الزراعية والمخترعات الحديثة. وينطوى تحت الثقافة المعنوية جميع أنوع المعرفة بما فيها فنون الادب والفن والخبرة الفنية (التكنولوجية) . كما تتقوى الثقافة بالاستعارة من البلاد الاخرى . التى توجد بها هذه النماذج .

وليس شك أن القوة المحركة للتطور هى قوى الانسان : الذى يمكنه السيطرة على قوات الطبيعة : ويصل الى ثقافة مادية ومعنوية واسعة . والانسان بتفاعله مع ما يحيط به من اشياء . ومع ارتباطه بالجماعات . وفهمه لها فهما صحيحا . يمكنه احداث التغيير . اذا بذل مايستطيع من نشاط خلاق منظم

والانسان الذى يطور هو انسان فريد : انسان له ايمان بالتقدم . انسان متحمس ابلغ حماسة . انسان ذو وعى نفاذ يمكنه عرض واقع المجتمع . واقناع الكثرة بالتغيير ، او قد ياوذ بدافع ايمانه التقدمى الى العنف والصراع . وطريق الاقناع السلمى هو طريق حضارى . كما يرى الفيلسوف الامريكى ف . ه. جدنجز وقد يكون هذا الطريق بطيئا فى اثمار بذور التطور والتقدم. وكنه طريق يؤدى الى نتيجة مؤكدة . اما طريق العنف والثورة . فلا يؤدى الى كيان سامى سعيد . هذا اذا لم يكن العنف هو الطريق الاوحد للخروج من ازمة مستعصية . او فوضى ضاربة .

شواهد حضارية

فاذا القينا نظرة بعيدة الى الحضارات القديمة ، كالحضارة الفرعونية ، أو الحضارة اليونانية او الاسلامية . وجدنا العوامل السابقة عملت عملها فى احداث التغيير والتقدم . فنظرة سريعة الى الحضارة الفرعونية التى قامت منذ تأسيس الاسرة الاولى ، ترينا أن العامل الجغرافى كان له أثر كبير فى تغيير هذه الارض الصحراوية . ولولاه لما كان لمصر وجود حضارى . كما يلاحظ علماء الآثار أن مصر فى العهد القديم قد تأثرت بالامم المجاورة .. فيقول جون ولسون فى كتابه « الحضارة المصرية (١) :

« انه لايمكننا ان نرفض الرأى القائل باحتمال عنصر جديد فى اواخر عصر ما قبل الاسرات ، وهذا العنصر الجديد كان من عوامل الدفع ، وقد استمد أصله من العراق . وكان له اثر واضح فى تقدم الحضارة المصرية » .

وهذا القول على اطلاقه ، لا يقره كتاب آخرون . اذ نجد أن الكاتبين ادولف ارمان ، وهرمان رانكه فى كتابهما عن « مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة » يريان أن اتصالات مصر بالشعوب المجاورة لم تستطع ان تحدث فى الحضارة المصرية الا اثرا ضئيلا جدا تناول ظواهر الاشياء (٢) .

واختلاف الكتاب فى استعارة مصر القديمة للثقافات المجاورة هو اختلاف فى النوع والدرجة ، ولكن الكتاب يجمعون بعامة على وجود عنصر الاستعارة .

والذى لاشك فيه أن المصرى الاول بتفاعله مع البيئة التى خلق

---

(١) كتاب الحضارة المصرية تأليف جون ولسون . وترجمة الدكتور احمد فخرى .

(٢) كتاب مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة : تأليف ادولف ارمان وهرمان رانكه ترجمة الدكتور عبد المنعم ابو بكر .

فيها . ومع ماامتاز به من ذكاء واطمئنان وتفاؤل فى ذلك الحين . أمكنه احداث التغيير العجيب الذى يشهدبه التاريخ فى المعمار . والتصوير والنحت . وعلم الفلك . والهندسة . والطب . والادارة الحكومية المنظمة تنظيما حسنا . .

كان الحافز الروحي الداخلى دافعا له نحو نوع جديد من الحياة فكانت لديه رغبة ملحة فى التغيير والتعطش الى المغامرة (١) .

وهو مع اقباله على التجديدات . فانه كان يميل الى الارتباط بالقديم ، فالجديد والقديم يترابطان .

وفكرته العجيبة فى تقديس الآلهة ، واعتبار الملك الها . وتخليد الاجساد بعد موتها . لم يمنعه من الاستمتاع بمباهج الحياة والكشف عن أسرارها . واستعمال العقل المجرد فى تفكيره . والفكر العملى فى صناعاته والمرونة العقلية والاجتماعية فىمبتكراته وفى ترقى أبنائه فى المراكز الاجتماعية .

ولقد أوجد المصريون الكتابة . واخترعوا الحبر وأوجدوا التقويم الشمسي ، وقاسوا الزمن بالمزولة « لساعة الشمسية » بالنهار والساعة المائية بالليل . وأول من بنوا بالحجر . وقد كانوا أعظم بنائين فى التاريخ ، وزخرفوا المبانى بأزهار اللوتس والبردى والبشنين،ورسموا قرص الشمس ذا الاجنحة وأقاموا المسلات(٢

والى هذا الابداع العقلى ، فقد كانت لهم ادارة حكومية منظمة ومرونة اجتماعية كبيرة ، فكان الرجال من الطبقات الدنيا يصلون الى المراكز الكبيرة . وكثير من الرجال العظام كانوا من هذه الطبقات .

ومما تقدم يتضح أن العامل الجغرافى الذى وهب مصر نيلها الخالد ، والذى أشعر الشعب المصرى بالامن والطمأنينة لبعدالغزاة عنه . وما امتاز به من ذكاء ومرونة ، وتأمل وتفكير . مكن اشعب مصر القديمة أن يثب وثبا الى حضارته الباهرة .

---

(١) الحضارة المصرية ــ لجون ولسون . ترجمة الدكتور احمد فخرى ص ٧٩ .

(٢) لمحات من الدراسات المصرية القديمة للدكتور باهور لبيب

الحضارة اليونانية

وتمكن اليونانى القديم من تغيير حالته البدائية : والسير حثيثا نحو التقدم والتحضر ؛ بفضل موقع بلاد اليونان القديمة تلك البلاد التي اخترقتها سلسلة من الجبال ، وأحاطتها المياه فقسمتها وحدات سياسية . وفتحت لها المياه الطريق الى التجارة ومهدت لها المواد الموجودة مثل المرمر والجرانيت . صنع الطوب والفخار وأعانتها على تقدم فن النحت والعمار .

وأفاد اليونانى القديم بما واتاه من الثقافات المحيطة به : الثقافة المصرية القديمة ؛ والفينيقية والفارسية . وبلاد ما بين النهرين فتأثر بالثقافة المصرية تأثراً كبيراً وشاهد ذلك بارز فى العمار اليونانى كما استعار من الفينيقيين الحروف الأبجدية وأنشأ له حروفا جديدة .

ولم يكن اليونانى القديم كالمصرى القديم متصلا اتصالا كليا بالآلهة بل كان اتصاله بها اتصالا رقيقا ولهذا لم يتملكه الوهم ولا الوجل من أعماله الخارقة المؤثرة فيه ، ولم يكن ليخشى سلطة الملوك والحكام ؛ كما كان حال المصرى القديم اذ كانت سلطة الملوك مقيدة حينا وزائلة حينا آخر .

ولهذا رأينا اليونانى القديم يستمتع بحرية لم تكن لا قرانه ويميل الى الاعتماد على نفسه ، والتفكير تفكيرا مستقلا ، مستندا الى التعليل والتحليل . وبلغت قدرته فى ذلك درجة عالية وكانت هذه الميزة هى من أكبر العوامل فى تغيره وتقدمه هذا التقدم الباهر وفى ذلك يقول الفيلسوف الانجليزى جود :

« ان عقول اليونانين قد تحررت من كل قيد ففكرو حسبما يريدون وقالوا مايشاءون ، ولم يكونوا ليخافوا آلهتهم . ولا أبناء وطنهم » .

ونلمس هذا التقدم فى علومهم وفلسفتهم وسياستهم وخطبهم وادبهم .

وقد دفع هذا التقدم خطوات وجود لفيف من الموهوبين ذوى القدرات العقلية والفنية العالية ، من العلماء والفلاسفة والادباء والشعراء . أمثال الرياضى فيثاغورث . وابى الطب هيبوكريت ومن الفلاسفة امثال سقراط . وافلاطون وارسطو . ومن الشعراء أمثال هومير ؛ والشاعرة سافو . وبندار . ومن المؤرخين أمثال هيرودت وليوسيدس ومن الساسة أمثال بركليز ؛ وغيرهم من ذوى الجراة الفكرية . والتحرر العقلى .

ونكتفى فى هذا المجال الثقافى . بذكر مثالهم الديموقراطى فى اثينا الذى لم يعرفه العالم القديم . والذى أصبح نموذجا يحتذيه العالم الغربى الحديث مع تعديلات واضافات . وذكر فلسفتهم وأدبهم الناضج المتحضر الذى امتاز بالاصالة والابتكار والذى عاون على خلقه كما يقول موسى هاداس فى كتابه « تاريخ الأدب الاغريقى » لغة موسيقية سيالة غنية مرنة وأمكنهم من التعبير تعبيرا جميلا موجزا واضحا .

ويتضح مما تقدم أن اليونان القديمة وبخاصة فى القرن الخامس قبل الميلاد . قد تغيرت عن ذى قبل . بفضل موقعها الجغرافى وثقافتها المستعارة . وما لمتاز به رجالها من حرية فكرية ومرونة عقلية وروح تقدمية تثير الى اليوم دهشة المعاصرين .

الحضارة الأسلامية

فاذا اجتزنا سبعة قرون وحومنا حول الجزيرة العربية قبل دخول الدين الاسلامى اليها . وجدنا جماعات فى الجزيرة متناثرة تسودها العصبية القبلية ، وتتحكم فيها روابط الدم وتنتشر بينها عبادة الاصنام ، وفى مكة التى سماها القرآن أم القرى . كان القرشيون جماعة من الأرستقراط . والتجار الاغنياء والصيارفة ورجال الاعمال الذين تربطهم روابط قبلية وثيقة . والى جانبهم جماعة من الفقراء الاذلاء .. جماعة مترفة تعيش فى بذخ ، وتسرف فى شرب الخمر ؛ ولعب الميسر ، وتتزود من الاسطورة. وجماعة من الحنفاء من عشيرة ابراهيم محتفظة بالفطرة العربية السليمة ، غير راضية عن عبادة الاوثان .

فجاء الدين الاسلامى بايمان ديناميكى جديد ، واحدث التغيير فى هذه الجماعات ، بل اقام فيها ثورة فى مدى ثلاث وعشرين سنة. فكيف حدث هذا التغيير بهذه السرعة . ولاول مرة فى حياة البشرية .

حدث هذا التغيير بقوة تعاليم هذا الدين الجديد ، هذه التعاليم الانسانية الحية التى نادت بوجود قوة عليا تحكم العالم ، بدل هذه الاوثان التى لاحول لها ولا طول . وبشرت بالاستمتاع البرىء بما فى الحياة الدنيا ، وبحياة أخرى يثاب فيها الاتقياء ويجازى الخطاء . واتت بفلسفة جامعة بين الروحية المثالية ، والواقعية العملية ؛ وبعثت قيما أخلاقية واجتماعية ؛ المساواة بين الناس ؛ لافرق بين غنى وفقير ، ولا ميزة لابناء قبيلة على قبيلة ؛ ولا سيادة لحاكم على محكوم ؛ بل الكل أمام تعاليم هذا الدين سواء ، والكل اخوة فى دين الله .

وكانت وسائط هذا الدين فى التغيير ، كلمات القرآن الباهرة ؛ التى خلبت ألباب العرب وعواطفهم ، وقد كانوا أهل فصاحة وشعر ؛ وبهر على بن أبى طالب باعجاز الايات ، واعتنق عمر بن الخطاب الدين وقد خلبت لبه سورة طه ، وسحر عتبة بن ربيعة

بسورة السجدة . وسحر غيرهم من العرب بقوة هـذه الـكلمات وشعريتها ، ونفاذها الى الافئدة .

كما كان لشخصية الرسول تأثير فعال يجابى فى هذا التغيير. فقد كانت شخصية مغناطيسية جاذبة . وتأثر الحاقدون بما أهدى الرسول من أحاديث بليغة حكيمة ، تأثروا بما اتسم به من بساطة وسماحة وشفقة متناهية ، لم يعهدوها من قبل فى رجالات الروم أو الفرس ، وقد جاء فى النقل ما يؤيد قوة مغناطيسية الرسول . فتقول هند بنت قتاله عن طلعته :

« كان فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر » (١)

ويقول بعض من بايعوه :

« ما رأينا مثل هذا الرجل . احسن وجهـا . ولا انقى ثوبا ولا أبين كلاما ، ورأينا كالنور يخرج من فمه » (٢)

ويقول على بن أبى طالب رضوان الله عليه :

« من رآه بديهة هابه : ومن خالطه معرفة أحبه » .. ويقول غيره : « لم أر قبله ولا بعده مثله » .

ولم تتأثر بقوة الكلمة ولا شخصية الرسـول فى بداية العهد الا كوكبة من الذين فتح الله قلوبهم وعقولهم ، وجماعة من الفقراء الذين وجدوا فى تعاليمه خروجا من حالتهم السيئة . وجماعة من الحنفاء الذين لم يقبلوا الدخول فى اليهودية ولا المسيحية ووجدوا فى التوحيد ضالتهم . اما اغلبية القرشيين فى مكة ، فقد وجدوا فى هـذه الايديولوجيـة الدينيـة الجديدة تحديا لمعتقـداتهم ، وتحضيضا لنفوذهم ، وتوهينا لتجارتهم ، فحاربوا داعيتها حربا شعواء ، وآذوه ايذاء شديدا .

فلم يجد الا الهجرة الى المدينـة . حيث وجد هنـاك قبـولا لدعوته ، ووجدوا فيه الرجل الحصيف الحكيم الذى يستطيع فض منازعاتهم ، بما يحمل من روح قوية غير عادية وتاييد الهى كريم . ولم يجد الرسول مناصا لنشر دعوته الانضال هؤلاء المتحجرفين

(١) « الشمائل المحمدية للحافظ الترمذى »
(٢) الانوار المحمدية فى المواهب اللدنية : يوسف النبهانى

فى مكة ، وجهاد الذين عكفوا على عبادة الوثن . فكان لنضال هو ذريعة أخرى للتغيير ، وذريعة لامفر منها ، ووجد أنصاره فى هذه الذريعة ، بعثا لما فطروا عليه من طموح ، وتجوال فى الاقطار . وايقاظا لما اتصفوا به من حماسة وشجاعة . وبدأ الرسول غزواته المعروفة . غزوة بدر ، وغزوة أحد ، وغزوته السلمية البيضاء على مكة حيث دخلها منصورا وتمكن من هدم أصنامها « ونشر رسالته » وجمع الامة العربية حول مبادئه الجديدة لاول مرة فى تاريخها .

كانت القوة الروحية والمعنوية فى الديانة الاسلامية أكبر عامل من عوامل التغير ، فى العصر الاسلامي الاول ، ثم كانت القوة العقلية بعد ذلك من اكبر العوامل فى ذيوع الحضارة العربية فى القرون الوسطى .

فعندما توسعت القومية العربية ، فشملت بلاد مابين النهرين ومصر وغيرها من البلاد ، تأثرت الدعوة الاسلامية ببذرة العقلية التى بذرها القرآن فى آياته ، وبالثقافات القديمة والمعاصرة اليونانية والفارسية والبزنطية والهندية والصينية ، تأثرت القومية العربية بفكر اليونان وعلومهم وفلسفتهم وآدابهم وفنونهم . وكان تأثرها باليونان كبيرا . كما تأثرت بفن الفرس وآدابهم . وبنظام الرومان الادارى ، وفنهم .

وهضمت القومية العربية هذه الثقافات جميعا . وخرجت بثقافة مستقلة فيها كثير من الاصالة فى بعض فروع المعرفة . وصارت اللغة العربية بغناها اداة من أدوات الثقافة ، فقد طمرت اللغات التى كانت موجودة مثل القبطية ، واليونانية . والاراسية . واللاتينية ، وأينعت فى البلاد العربية من الفرس الى أسبانيا .

وبفضل العقلية العلمية الجديدة ، التى استحوذت على ألباب العرب ، وبفضل وجدانهم الذى هذبته التعاليم الدينية ، وبفضل الاذهان المفكرة المتحررة التى هضمت الثقافات الاخرى ، وفجرت طاقاتها الكامنة ، وبفضل الثقافات المادية الأخرى ، وجد تقدم حضارى فى القرون الوسطى كان ولايزال مثار عجب واعجاب العالم
ويعجب الدارس لهذه الحضارة مما أحرزه العرب من تقدم فى الرياضيات ، والطبيعة ، والكيمياء ، والطب ، ومن فتوحاتهم فى

فن المعمار ؛ والتصوير ؛ ومن امجادهم فى الفلسفة والادب والشعر ، ويجد كوكبة نابغة فى جميع العلوم ؛ فيدهش لهذه الطاقات المتفجرة فى عصر من عصور الظلام ؛ طاقات اشعت النور لاوروبا الغارقة فى الجهالة .

واذا ذكرنا بعض الاسماء العربية اللامعة ، فلا نذكرها للتفاخر بها ، بل لكى نفتح العيون على حقيقة كبيرة : هى أن التغير الذى حدث فى هذه القرون يرجع الى التحرر الفكرى والى روح التسامح الدينى فى هذه الفترة حتى لنجد بعض فقهاء الدين يعتمدون على العقل فى حكمهم ، ولا يعتمدون على الروايات الدينية (١) ، وبعض فلاسفتهم يصدرون آراءهم فى المسائل الدينية فى حرية تامة : ويفسرون القرآن على ضوء العقل (٢) كابن رشد .

يلمع الخوارزمى فى فارس علما فى الرياضة ، ويلمع البنانى فى العراق ببحوثه المبتكرة فى الجبر والمثلثات(٣) ويلمع أبو سعيد ابن يونس ببحوثه فى المثلثات التى فاقت بحوث كثيرين من العلماء(٤) وشجاع بن اسلم فى علم الجبر .

ويلمع ابن الهيثم بالعراق فى الطبيعة وفى البصريات(٥) كما يلمع الخازن فى بلوغه درجة مدهشة فى تهذيب البصريات ، وابو سعيد ابن يونس المصرى فى الفلك .

ويلمع فى الطب الرازى وابن سينا من بعده فى فارس ، وتنفرد مصر فى هذه الناحية ، فيبرز ابن رضوان ؛ وعلى بن النفيس الذى اهتدى كما يقول ماكس مايرهرف الى حقيقة الدورة الدموية الصغرى ؛ دورة الدم ؛ من البطين الايمن فى القلب الى الرئتين ثم الى البطين الايسر(٦) .

---

(١) عبقرية العرب للدكتور عمر فروخ ص ٤٢ الطبعة الاولى ١٩٤٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) تراث العرب العلمى للاستاذ قدرى طوقان ص ١٢٢

(٤) المرجع السابق ص ١٤٤ .

(٥) المرجع السابق ص ١٥٤ — ١٥٦ .

(٦) تراث مصر — للاستاذ عبد الرحمن زكى ص ٦٨ .

ويجمع بعض هؤلاء الافذاذ الى العلم ، الفلسفة والادب كما فعل ابن سينا ؛ والكندى الكوفى ، الذى جمع الى الفلسفة البراعة فى العلوم الرياضية والفلكية وهو من اصل عربى عريق . وقد عده العالم الايطالى كاردانو من أذكياء العباقرة المعدودين(١) .
والى هؤلاء نذكر ثابت بن قرة العراقى الذى جمع الى الفلسفة؛ البراعة فى الهندسة التحليلية ، والفلك والاشتغال بالطب ومداوة المرضى (٢) .

ولسنا بحاجة الى ذكر من لمع فى البلاد العربية فى الفلسفة من امثال الفارابى وابن رشد ، وموسى بن ميمون ولا فى الشعر والادب من أمثال : بشار والمتنبى والجاحظ والمعرى .
وكل مايهمنا هو الالحاح على حقيقة مؤكدة هى أن هذا الدين الجديد ، لم يكن من حوافز التهذيب الوجدانى فقط ، بل كان من حوافز الاثارة الى التفكير فى نواحى المعرفة فاذا تناولت حياة الكندى العربى الصميم تجد انه حصل على حظ كبير من الثقافة اليونانية والفارسية والهندية ، وقادته دراساته الاسلامية القديمة الى حب المعرفة واستقلال البحث ، ولهذا رايناه يتمسك بالعقيدة الدينية وينافح عنها بالنظرة العقلية (٣) .

واذا تأملنا حياة ابن يونس المصرى ، رأينا أن الدين كان من اسباب تأملاته فى علم الفلك الذى بلغ فيه حد العبقرية (٤) .
وعلى هذا يمكن القول بأن العنصر الدينى كان من حوافز العرب الاولين الى التفكير والبحث العلمى ، وأنه بفضل هذا العنصر بنت حضارة جديدة وتميزت عن الحضارات القديمة كالفرعونية او اليونانية او الرومانية ، بما اشعل هذا العنصر فى قلوبهم من وجدان مهذب ، وميل الى التفكير والابتكار ، والتجريب ، وكان هذا عنصرا ديناميكيا فى التغيير والتقدم بلا مراء .

---

(١) تراث العرب العلمى — لطوقان ص ٩٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٠٢ — ١٠٥
(٣) كتاب الكندى وفلسفته للاستاذ محمد عبدالهادى ابو ريدة ص ١٠ ؛ ١٦ ١٩٥٠ .
(٤) تراث العرب العلمى — طوقان ص ١٤٤ .

المدنية الغربية الحديثة

الشواهد التاريخية التى أطلنا الوقفة عندها تكشف لنا ان العامل الاصيل الباقى فى التغير والتقدم هو الميل الى التفكير المستقل ، والروح العلمى الذى شهدنا آثاره الباقية فى مصر القديمة ، ولمسنا بروزه فى الاغريق ؛ ووقعنا عليه فى الحضارة الاسلامية .

ومهما يقال عن البذور العلمية فى الحضارة القديمة ، فانها كانت بذورا قليلة ؛ وكان التغير الذى احدثته مقصورا على القلة المترفة فى هذه العوالم .

ولم يتجل الروح العلمى وأثره العظيم فى التغير الا فى العصور الحديثة . فقد كان مجاله واسعا ، ونطاقه متعدد الميادين .

وابرز ما نجد ذلك فى أوروبا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ، حيث اكتشفت قوى المادة ووجدت مواد جديدة ؛ وعرفت علوم الحياة ، ووجد من يطبق هذه العلوم . فى صناعات جديدة لا عهد للبشرية بها فقد كشف العالم وات فى عام ١٨٦٩ قوة البخار ، واستخدمت فى تسيير القاطرة والمركب البخارى وغيرها من الالات ؛ فتغير وجه الارض ، ووجد الامريكى بنجامين فرانكلين بعض الحقائق عن الكهرباء ؛ كما عرف الايطاليان جلفانى وفولتا توليد الكهرباء من بطارية وعمل فاراداى الدينامو ، وما جاء القرن التاسع عشر حتى استخدم اديسون الكهرباء فى الاضاءة ، واخرج المصباح الكهربى وهو من المعجزات الحديثة .

واحدث داروين فى عام ١٨٥٩ ثورة علمية بنتائج بحثه فى التطور كما أحدث ماندل ومن اعقبه ثورة علمية اخرى بتوصله الى قوانين الوراثة .

ولم تقف البحوث العلمية عند ناحية .. بل شملت النواحى الانسانية فتقدم علم الحيوان ؛ وعلم الطب ، وفى القرن الثامن عشر ؛ عرف مصل علاج الجدرى ، واتى باستير بعد ذلك فكشف

أسباب مرض القلب وعلاجه وغير هـذه من الفتوحات العلميـة والطبية المنوعة ، التى ادت عند تطبيقها عمليا الى الثورة الصناعية فى أوروبا ؛ والتى تعتبر أعظم حدث غير العالم الى وقتنا الحاضر

الثورة الصناعية

وهذه الثورة قد غيرت طبيعة المجتمع الغربي . لا من الناحية الاقتصادية فقط ، بل من الناحية الاجتماعية والثقافية ؛ والتجارية

وقـد بدات فى انجلترا لتوفر خامات الفحم والحـديد بهـا والمال الفائض من تجارتها الخارجية مع المستعمرات وتلتها فرنسا بعد سنين طويلة عام ١٨٢٥ ، لانشغالها بمنـازعات الثورة الفرنسية . وحروبها ؛ ومحـاولة انجلترا منع تسرب المعلومات الصناعية عبر القنـاة .

ولم تصل الثورة الصناعية ألمـانيا الا فى عام ١٨٥٠ لكثرة منازعاتها السـياسية ؛ ومركزها الزراعى المتين ، وقـة رأس المال الفائض لديها ؛ وما أحدثته حروب نابليون المدمرة .

وتقدم كثير من بلاد أوربا الغربية فى الصناعة وبخاصة بلجيكا والسويد ؛ والنمسا ؛ وسويسره ؛ وتلقفت الولايات المتحدة هذه الثورة الصناعية فى حماسه ، ووصلت فى صناعتها الى درجـة هائلة ؛ وذلك راجع الى وفرة مواردها الطبيعيـة ؛ وفتوحاتهـا العلمية وتجديداتها الفنية ، فعلى حين كانت صـناعة انجلترا تقوم على البخـار ؛ كانت صناعات الولايات المتحـدة تقوم على الـكهرباء .

وكان من آثار هذه الثوره فى البـلاد الغربيـة تحول الحضارة الغربية من زراعية الى صناعية ووجود المدن وزيادة عدد السكان زيادة كبيرة ؛ واهم من هـذا كله زيادة نفوذ الطبقـة المتوسطة اقتصـاديا وسـيطرتها على الحكومات ، وهـذه الطبقة سميت بالبورجوازية ؛ وهى قسمان : قسم سمى بالبورجوازية الكبيرة . وهى مكونة من كبـار الراسماليين ؛ ورجال اتحـاد الصـناعات والاحتكارات ، والشركات ومن اليهم ؛ والبورجوازية الصـغيرة وتتـالف من اصـحاب المحال الصـغيرة ؛ والاطباء ؛ والمحامين وموظفى الحكومة ؛ والمعلمين ؛ والمزارعين المستقلين ؛ والى جانب

هؤلاء وجدت جماعة العمال الذين لا يملكون شيئا الا جهدهم وعرق جبينهم وقد سموا « البرولیتاريا » .
ومن أبرز آثار هذه الثورة ؛ نمو الروح الاستعمارية واستغلال موارد البلاد الطبيعية لصناعاتها ، واستخدامها الاسواق لتصريف منتجاتها ، وقد أثمرت هذه الروح منافســات حادة بين الدول وأدت الى منازعات ومصارعات وحروب طاحنة ؛ واهمها الحرب الكبرى الاولى ١٩١٤ – ١٩١٨ ثم الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥ وما أعقبهما من ويلات ونكبات فادحة .

فلسفة الراسمالية :

وكان لطبقــة المتوســطة مذهب تدين به ، هو مذهب حرية التعامل والتحرر من سلطة القوانين المقيدة لاعمالهم ، وكان لهذا المـذهب فلاسفة ينـادون بحرية التجـارة ، ورفع القيود على الصناعة ؛ ومن بينهم آدم سميث ؛ وريكاردو وبنتـام وميل . وغيرهم ؛ وكانت لهم نظرياتهم الاقتصادية التى أن اختلفت بعض الاختلاف فى التفاصيل الا أنها كانت كلها تنتهى بالمناداة بالتحــرر الاقتصادى . فكان ريكاردو مثــلا يرى تقدير أجور العمال على مقتضى العرض والطلب ، فاذا كان المعروض قليلا ومطلوبا ؛ زاد اجر العامل . واذا كان كثــيرا ؛ فالاجر ينخفض . ونجم عن هذا التحرر الاقتصادى انزادت ارباح اصحاب الاعمال ؛وصار العمال فى حالة محزنة ؛ لايستطيعون الحصول على حاجياتهم الضرورية
وكان من اثر هذا وجود طبقة عمالية فى المدن قلقة ساخطة . وعبرت هذه الطبقــة عن شــعورها بالظلم فى قيــام هذه الثورة الصناعية ، ومن هنــا بدات فــكرة الخروج على مذهب التحرر الاقتصادى ؛ وعلى تقييد حرية أصحاب العمل ، وبدأ المفكرون يحــاولون تغيير هــذا الوضع ؛ وتعــديل الـكيان الاقتصادى والاجتماعى على السواء .

العقيدة الاشتراكية :

وبدات بذور الاشتراكية فى أواخر القرن الثامن عشر ؛ فكان لسان سيمون (١٧٦٠ – ١٨٢٥) آراء مثالية خيالية ؛ ومع هذا فقد اثر فى بعض المفكرين مثل اوجست كونت الذى كان يرى ان المجتمع يجب ان يكون فى المســتقبل تعاونيا ، ومهتما باســتغلال

الطبيعة ؛ لا استغلال الإنسان . ووجد مفكرون آخرون نادوا بالاصلاح لمجموعة من العمال من امثال روبرت وين (١٧٧١ – ١٨٥٨) الذى طبق هذه الفكرة فى مصنعه ، فكان يعطى العمال أجورا طيبة ؛ ويهيىء لهم مساكن صحية ؛ ومدارس لابنائهم . ويعمل بقدر الطاقة على تحسين احوالهم .

واتخذت الاشتراكية المسيحية بذور دعوتها من عظة الجبل للسيد المسيح ، وكان من روادها جون فردريك موريس ؛ الذى نادى بتعليم الشعب .. والاهتمام بالجمعيات التعاونية والاصلاحات العمالية .

ثم جاءت بعد ذلك الاشتراكية المتطرفة وزعيمها ماركس . وقد تأثرت بمبادىء الاشتراكيين السالفين ؛ ولكنها اختلفت فى مبادئها المتطرفة ؛ وثوريتها ؛ وارتأت أن جميع السلع ينتجها العامل ، وان القيمة الحقيقية لاية سلعة تقدر بقدر كمية العمل الذى بذل لانتاجها ؛ ولكن العامل لايأخذ من انتاجه الا حصة . ويأخذ صاحب العمل فائض القيمة أرباحا ، والنظام الذى ترمى اليه هو ابعاد استغلال صاحب العمل للعامل ؛ واستيلاء العامل على قيمة انتاجه ، وأن العمال الاستيلاء على وسائل الانتاج بالطرق السلمية اذا أمكن وبطرق العنف عند الحاجة .

وقد اختلف الاشتراكيون فيما بينهم ، وان اتفقوا على التنديد بالرأسمالية ، ففريق تمسك بالاشتراكية المتطرفة آنفة الذكر . وفريق رأى أن آراء هذه الاشتراكية غير مقبولة ولا محتملة . ورأى التعاون مع الحكومات ، بورجوازية او غير بورجوازية ؛ لايجاد الاصلاحات ؛ وهذه هى الاشتراكية المعتدلة ؛ التى ترى – فيما ترى – القيام باصلاحات عمالية كثيرة ؛ وتقليل ساعات العمل الى ثمانى ساعات ؛ ورفع الضريبة على الدخل وعلى المواريث ، وغيرها من الاصلاحات ؛ وكان على رأس هؤلاء جماعة الفابيان ومن بينهم برناردشو ، وولز ؛ وسدنى وبتريس وب وغيرهم .

العلم الحديث :

ويبدو مما سبق أن الراسمالية استخدمت العلم فى خدمة مآربها المالية والاستعمارية ، وسخرته فى إيجاد آلات الخراب والتدمير ؛ اذ وجدت فى هذه الالات أيسر سبيل للحصول على ارباح فاحشة ، غير آبهة بما يسفر عنه جشعها وأعمالها المدمرة

من ويلات للشعوب ؛ وعلى هذا تبدد نور العلم الصافى فى ركام من ضباب الظلام ، وسحب الظلم . لقد تمكنت الرأسمالية من نشر سيطرتها الاستعمارية على افريقيا ، وآسيا واستغلت كثيرا من اقطارها استغلالا مقيتا ، واستخدمت فى هذا فتوحات العلم، بما مدته من سكك حديدية وتليفون وتلغراف ؛ وبما أنشأته من بواخر لنقل خيرات هذه البلاد ؛ وبما وصلت اليه من كشوف طبية تغلبت بها على الامراض المعدية وحميات المناطق الحارة لتثبيت أقدامها فيها ، ولم ينل سكان هذه المستعمرات الا الذل والاضطهاد .

وبهذا شوهت قوة العلم كأداة للتطور والتقدم الحضارى ، وضاع أثر هذه الثورة الصناعية ، فى رقى المجموع بل اصبحت قوة هدامة لمعنويات العاملين فى بلاد الالات الكبيرة ، والبلاد المستعمرة على السواء . فاصبح وضع الانسان الحديث فى النظام الرأسمالى وضعا أليما مشجيا ، أصبح آلة مطيعة وسادت نفسه القلق والضيق وعدم الاطمئنان .

ولم ترتق حالة العاملين فى بلاد الاشتراكية المتطرفة ، بما بلغته من تقدم علمي . وصناعى . وما وصلت اليه من خبرة فنية فأكبر الظن أن حالة العمال المعنوية مشجية ، لعدم تمتع العمال بحرية العمل . وحرية الانتقال من عمل لعمل ، ولعدم استطاعتهم ابداء الرأى فيما يجدون من سيئات البيروقراطية الحكومية رغم استقرار حالتهم المادية نوعا ، وعدم تعطل العاملين فيهم . أجل لقد حدث تقدم حضارى مادى فى العالم الحديث . ولكن لم يقم تقدم روحي معنوى انسانى الى جانبه . مما يجعلنا نعتقد ان التطور والتقدم . لايقوم على الفتوحات العلمية . والمستحدثات الصناعية . والخبرات الفنية . وحسب . ولكنه يقوم على التغير الروحى ، وعلى الروح الانسانية فى الدرجة الاولى .

فأساس التقدم الحضارى ليس العلم فقط . بل الفلسفة الانسانية . التى يمكن أن يقوم على نورها التعاون الايجابى بين أمم العالم أجمع .

ولقد كان انهيار الحضارات القديمة . وسيكون انهيار المدنية الحديثة راجعا الى افتقاد هذا العنصر الانسانى . لقد انهارت الحضارة الفرعونية لان الشعب كان مسخرا للملك الاله ، وانهارت الحضارة اليونانية . لأن الشعب كان عبدا لجماعة مترفة من

حكامه ، وانهارت الحضارة الرومانية لاستبداد القياصرة . وظلمهم للشعب . وانهارت الحضارة الاسلامية لترف الحكام وارستقراطية ذوى النفوذ . وجاء دور المدنية الغربية . وسيكون مآلها مآل الحضارات السابقة ، وستتلوها المدنية الامريكية التى تدين بما تدين به الحضارة الغربية من فلسفة البراجماتزم أو فلسفة المنفعة ، ولاتعرف فى سبيل أغراضها وتحقيق غاياتها الا القوة سلاحا لنشر معتقداتها ومآربها .

وليس بعيدا انهيار هذه المدنيات الحديثة بنشوب حرب ثالثة تستخدم فيها مخترعات العلم الهدامة من قنابل ذرية وهيدروجينية وغازات سامة .

وارهاصات هذه الحرب بادية من الحرب الباردة القائمة بين العملاق الامريكى والعملاق السوفيتى ، وما هو ناشب بينهما من شك وعدم ثقة وخوف . وتربص . منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية الى اليوم .

اختلاف بعيد بين العملاقين فى الايديولوجية وخوف أمريكا من صراع الطبقات وخوف روسيا من الحصار الراسمالى . وخوفهما من استعمال القنبلة الذرية اذا ماشبت حرب بينهما كما استعملتها امريكا فى نهاية الحرب الماضية فى هوريشيما وناجازاكى

واتهامات بين الطرفين متبادلة ، فروسيا السوفينية تتهم انجلتره بالتدخل فى شئون اليونان واندونسيا وأمريكا تتهم السوفيت بالتدخل فى اعمالها الداخلية .

وانقسام فى الراى دائب مستمر فى كل مسألة تعرض على هيئة الامم ، ولم يصلا مرة من المرات الى راى اجماعى عدا اتفاقهما على استنكار العدوان على مصر بل قد يحدث بين ممثلى الطرفين تراشق بالالفاظ جارحة لاسباب واهية كما تمتد موجات عالية كدراء من النفور والكراهية بين شعوب الطرفين .

وقد زادت حدة التوتر بينهما فى الشهور الاخيرة عند تأميم القناة المصرية ، وعندما صدر مشروع ايزنهاور الذى يبيح لامريكا الحق فى عقد اتفاقات اقتصادية وعسكرية لحماية اية دولة او مجموعة من الدول من اى عدوان تقوم به دولة من الدول الشيوعية

وعند انضمام أمريكا الى لجنة حلف بغداد العسكرية فى ٣١ مارس ١٩٥٧

وبلغ التوتر أقصاه عندما برزت قرارات برمودة بين انجلترا وأمريكا ، ومن هذه القرارات : العطف على الشعب المجرى واستنكار سياسة السوفييت الاستبدادية لشعوب شرق أوربا ، والاتفاق على انشاء قواعد أمريكية للقذائف الموجهة فى انجلترة . وما أعقب ذلك من اعلان أمريكا عزمها على انشاء قواعد للقذائف الموجهة فى دول حلف الاطلنطى : السويد والنرويج والمانيا الغربية ، واليونان ــ اذا سمحت بذلك ــ وتركيا والعراق وايران وباكستان ، وهذا تطور فظيع فى الحرب الباردة أوجس الكثير منه فى مشارق الارض ومغاربها (١)

---

١ ــ الدكتور محمد عوض محمد فى مقالته «هذا الكوكب المعذب» بمجلة «المجلة» عدد مايو ١٩٥٧

العقيده الانسانية

وظاهر مما تقدم أن الدول الغربية والامريكية وروسيا السوفيتية قد بذلت وتبذل جهودا ضخمة لاستغلال موارد الطبيعة واستخدام العلم والخبرة الفنية فى ترقية الصناعة . ولكنها لم تبذل مجهوداً يذكر فى فهم الانسان ، وفى رفع معنوياته . والعمل على ايجاد تعاون حقيقى بين الانسان والانسان . واحلال السلام محل الحرب والخصام . وفى استخدام الطاقة الذرية فى خيره ونفعه بدل تدميره وافنائه .

ولا أمل للانسانية المسمومة بأيديولوجيات الامم الكبيرة وصراعها البارد والحار الا بتغيير أيديولوجى جذرى . تغيير روحى يضرب فى الاعماق ، تدرك فيه الامم الغربية ذات النزعة المادية . والامة الامريكية ذات النزعة البرجمانية ، ودول الاتحاد السوفيتى . وغيرها من الدول التى تدور فى فلكها ذات النزعة العلمية والمادية من وجوب النظر الى معنويات الانسان قبل النظر الى طاقات المادة فتتخلى الامم الغربية والولايات المتحدة . عن التفريق بين الانسان الابيض والاسود . وتتخلى عن أنانيتها فى استغلال الافريقى والاسيوى ، وتتنزل كثيرا عن نزعتها الراسمالية . وفى الوقت ذاته تقدر روسيا السوفيتية كرامة الانسان واحترامه . وحقه فى القول وحريته فى التفكير وحرية صحافته فى ابداء الرأى المعارض

وبهذا تتقارب الايديولوجيات ، وتخف وطأة المنازعات السياسية وتخف روح التحامل ، والتعصبات الجنسية ، وبهذا يمكنها ان تعمل سويا فى جو مشبع بروح المودة ، والثقة ، والتعاون لخير البشرية .

واذا كان العلماء يرون أن العالم مقبل على أزمة اقتصادية فى جيلين قادمين بسبب زيادة السكان المطردة ، وأن الارض الزراعية قد ضعفت خصوبتها ، ولن تكفى لتزويد السكان المتزايدين بالغذاء وان نصف سكان الكرة الارضية لم يتعلموا القراءة والكتابة ، وغير هذه من المشكلات العالمية الكبيرة .

فما أجدر الامم الكبيرة ، بمراجعة فكريتها المادية الضارة

والعمل على استخدام هذه الطاقة الطبيعية الجديدة ، قوة الذرة في حل هذه المشكلات ، فقد عرف أن هذه القوة تعطي طاقات هائلة للمناطق التي يعوزها مواد البترول والفحم والقوى المائية وانها قادرة على تسيير السفن الكبيرة ، وانها تقلب الصحراوات الى أراض خصبة ، وانها خلق جديد يعلو علوا كبيرا على القوى السابقة ، قوى البخار والماء والكهرباء .

وسيلة هذه العقيدة

وقد يشق على البعض تصور ايجاد هذا التغيير الايديولوجي لدى هذه الامم الكبيرة ، لما قد لمسوا من ازدياد صراع هذه الامم يوما بعد يوم ، ومن خيبتها في الوصول الى حل للمشكلات الحاضرة منذ انتهاء الحرب الكبرى الثانية الى اليوم ويستندون في اعتقادهم الى أن هيئة الامم ، لم تستطع التخفيف من حدة الصراع الايديولوجي بين الامم الكبيرة ، ولم تقدر بعد احدى عشرة سنة من العمل على خفض السلاح ، ولم تتفق في هذه الفترة على الوصول الى حل لتحطيم القنبلة الذرية ومعاقبة من يستخدمها في سرعة وعنف ، ولقد تناولت الامم الكبيرة هذه المسألة الخطيرة بالبحث والنقاش ، فارتأى الاتحاد السوفييتي تحطيم القنابل الموجودة ، وارتأت الدول المخالفة الاشراف عليها بوساطة هيئة الامم ، ووقف البحث عام ١٩٤٨ لان الاتحاد السوفييتي رأى أن تدخل هيئة الامم مخالف لمبدأ السيادة

وكذلك الحال في التقليل من السلاح الحربي ، فقد ارتأت روسيا في المؤتمر المعقود لهذا الغرض ، أن تنقص كل دولة قوتها المسلحة في البر والبحر والجو الى الثلث ، ولم يقبل هذا الاقتراح ، لوجوب قيام جو طيب لايجاد علاقات دائمة وحقيقية بين الدول !

ومع تشاؤم هؤلاء المفكرين في تعديل هذه الدول لايديولوجيتها فهناك من المفكرين التقدميين من يحيون الامل في وجود الفكرية الانسانية بايجاد قوة ثالثة تقف موقف الحكم بين القوتين المتصارعتين تقف على الحياد أولا ، وتعمل على التقريب بين وجهات النظر ثانيا ، وتسعى الى التبشير بروح التعاون . والتعايش السلمي وبذر بذرة الفكرية الانسانية الجديدة .

وقد نجحت هذه القوة الثالثة أدبيا فيما اتخذته من قرارات في مؤتمر باندونج ــ كما نجحت عمليا في موقفها الشريف عند تأميم قناة السويس ، وفي موقفها بعد الحرب الطائشة التي شـنتها انجلترة وفرنسا واسرائيل على مصر ، ذلك الموقف الانسـاني المجيد الذي أدى الى عدم نشوب حرب كبرى ثالثة ، ومن حسن الحظ أن مصر وبعض البلاد العربية اعتنقت هذا المبدأ الانساني وهذا المبدا هو عنصر من العناصر الجوهرية في الايديولوجية الجديدة التي ينادي بها في هذا البحث ! والذي نرى ان يكون اعتناقه عن ايمان قوي ذكي ، وسنتناول هذه الناحية قريبا .

جذور الأيديولوجية الجديدة

وبعد هذه الجولة الطويلة . نوعا فى تاريخ الحضارة القديمة والحديثة . يمكن الافادة بهذا التراث الانسانى القديم والحديث وتعرف عوامل التغير والتقدم فى هذه الحضارات . وقد وضح بجلاء أن العامل الثقافى كان ولايزال من أهم العوامل فى التغير والتحضر فى عهد الفراعنة . واليونان . والاسلام . وأوروبا الغربية وأن هذا العامل لم تتأثر به الا القلة فى الحضارات القديمة . ثم تجلى أثره فى المدنيات الحديثة . عندما بزغت فتوحات العلم فى منتصف القرن الثامن عشر .

وبفضل النخبة المفكرة التى كانت تتفاعل مع بيئاتها . حدث التغير والتقدم . وقد نوهت بأسماء كثير من النوابغ والعباقرة الذين أشعلوا المصباح فى الظلمات .

وكان للثورة الصناعية التى نهضت فى القرن الثامن عشر . أثر كبير فى تقدم الحضارة المادى . وفى نمو طبقة جديدة هى الطبقة المتوسطة . لم تكن موجودة فى الحضارات القديمة . ولا فى القرون الوسطى . وهذه الطبقة قد قضت على سلطان الاقطاع والنبلاء وعملت على ايجاد حكومات ديموقراطية . أقرت حرية الفرد السياسية والاقتصادية

وكان من أثر ازدياد انتاج هذه الطبقة . خلق طبقة عمالية شعرت بحق الوجود والحياة الطيبة . كما تعيش الطبقة المتوسطة . لانها هى خالقة الانتاج .

وبالنظر لان الطبقة المتوسطة . لم تهتم الا بالاغتناء والاقتناء دون اهتمام بالطبقة العاملة . فقد برزت الفكرة الاشتراكية كما برزت الفكرة القومية التحريرية نتيجة للاستعمارية الراسمالية وبازدياد نفوذ الاستعمارية والراسمالية . ونزوعها الى الحصول على الأرباح الفاحشة من أى سبيل . وبخاصة صناعة المدمرات . واستغلال الشعوب الضعيفة . فقد نبعت فكرة ايجاد كتلة ثالثة

لمجاهدتها . وبذر بذور العقيدة الانسانية . والتعايش السلمى والتعاون بين الامم بعضها بعضا .

هذه نثرات من جذور التقدم ، وهى تراث طيب ولا ريب يمكن الانتفاع به فى معرفة معالم الطريق للايديولوجية الجديدة التى ننادى بها .

ولكن هذه الجذور التاريخية لن تأتى بجدواها الا اذا بحثنا العوامل التاريخية التى أدت الى تقدم كل بلد عربى مثل سوريا والعراق او سببت تأخره . ومثل هذا البحث تضيق به هذه الدراسة . ولهذا نرى الاكتفاء بلمحات سريعة كاشفة عن أسباب التأخر والتقدم فى بلد عربى واحد . ونرى أن مصر هى أقرب بلد الينا . وهى تمثل قليلا أو كثيراً حالة كثير من البلاد العربية فى أسباب تأخرها أو تقدمها عبر القرون .

الإقليم الجنوبي بين المد والجزر

ونظرة خاطفة الى تاريخ مصر تكشف لنا عن عوامل تأخرها وتقدمها وتنير الطريق الى تعرف وسائل ارتقائها فى الوقت الحاضر

واول ما نلحظ أن مصر كانت بين جذر عنيد . ومد ضعيف فى تاريخها الطويل . ولكنها مع ذلك احتفظت بعنصرها الاقوى . وبقيت لها شخصيتها المميزة رغم ويلات الغزو . ونكبات الاستعمار الذى حل بها بسبب موقعها الجغرافى .

كانت مصر القديمة آمنة فى عهد المملكة الاولى . بعيدة عن الغزو فأثمرت حضارة تدهش العالم الى اليوم . وكشف المصرى عن ذكائه وابداعه واصالته . ولم يفقد المصرى خصاله مع توالى الغزو عليه . فقد بقى على بساطته وذكائه وحبه للمعرفة ونزوعه للعطف والشفقة . وان كانت آثار الغزو طوفت بنفسه شيئا من الشجن . والاسى . وجعلته يشيح بوجهه عن التفكير . والابداع . وهو من فجر التاريخ الى اليوم له ولاء عجيب للدين وحب للحكم العادل . ونزوع الى الحرية شديد : وميل الى الفرحة والتفاؤل واجتناء طيبات الحياة ومباهجها . فضلا عما استقر بنفسه فى جيرة النيل العظيم وفى شعاعات الشمس المضيئة . من حب للدعة . والالفة ، وروح السلام .

وقد لعب الدين فى حياته الوجدانية والعملية دورا مهما اكثر مما لعب الدين فى كثير من الشعوب الغربية . ونجد ذلك بارزا فى عهد القدماء . وبقيت بذرة التدين متغلغلة فيه . تنمو وتزدهر بقدر ما تجد من بيئة صالحة . فلم يغير مبادئه الدينية فى الحياة الثانية عندما غزاه الفرس ، أو الاغريق . وقد دخل فى المسيحية لما وجد فيها من تماثل لمبادئه . كما اعتنق الاسلام . الذى وجد فيه عاملا من عوامل تقدمه الوجدانى والمادى .

وكما اتخذ من الدين ثقافته الروحية ، فقد فتح بتفكيره آفاق المعرفة . فكان يجمع فى عهد القدماء الى التفكير النظرى . التفكير التجريبى . وظهرت آيات نبوغه فى الفلك والرياضة والطب والفن والشعر الغنائى والقصص . وظهر هذا الميل فى عهد البطالسة ، حيث كانت الاسكندرية فجا لنور المعرفة والبحوث العلمية والادب

والفن . وكان أغلب الاتجاه الى العلوم والفنون النظرية كالفلك والطبيعة . والادب والفسفة والموسيقى . وكان لقاطنى الاسكندرية الفضل فى تنظيم وتبويب الاثار اليونانية ، وفى ربط الحضارة اليونانية والحضارة الغربية .

ثم تجلى نبوغه وعبقريته فى العصور الاسلامية فى القرون الوسطى . اذ جمع المصرى بين التفكير النظرى ، والعمل التجريبى . ولمع فى مصر نوابغ فى علوم الفلك والطبيعة والرياضة والطب . وقد بسطنا القول فى هذه الناحية فى الصفحات السابقة . ولاتزال نزعته الى المعرفة قوية وان غطى عليها الاستعمار الانجليزى الذى حارب هذه النزعة . وحرمه الثقافة طوال عهده . ومع هذا ففى الكنانة بذور أصيلة كامنة تهفو الى الضوء والهواء لتخرج من ظلام التربة .

ومن فجر التاريخ . أحب المصرى التحرر والانطلاق . ولما اعتنق المسيحية تقوت روحيته . وزاد حبه لاخيه . وعطفه وشفقته على الفقير . ثم جاء الاسلام فقوى حبه للحرية والاباء . واضفى عليه الكرم والمروءة والسماحة . فهو على هذا ديموقراطى النزعة على توالى القرون . وقد كان اضطهاد الغزاة له عاملا من عوامل كرهه للظلم والقسوة والاستبداد .

وقد فتح قلبه للملوك والحكام العادلين . واعلى ذكرهم ورفع اسماءهم . وفى تاريخه الطويل لم يسعد الا بالقليل من هؤلاء الحكام . لقد مجد ملوكه القدماء ووضعهم فى مصاف الآلهة لان بعضهم كان يعمل لصالحه . يقضى الساعات فى خدمته ويعزف عن اللهو والترف . ورحب بيطليموس الاول الرجل الذكى الذى كان مصريا فى شعوره واخلاصه لمصر . والذى أقام المتحف السكندرى وبنى المكتبة العظيمة الشهيرة وشجع الثقافة اليونانية فى مصر .

كما احتفى بحكمة الامبراطور الرومانى تراجان لعدله وحزمه وتحقيق ظلامات الاهالى بنفسه . واحب عمرو بن العاص العربى لتسامحه . وما بذله لمصر من خير كثير . وفى عهد الدولة الطولونية التى أنشأها أحمد بن طولون مستقلا عن الدولة العباسية . وجدت مصر فيه حاكما مثقفا منصفا . حارسا للتعليم . ومهتما بشئون الشعب . كما وجدت فى صلاح الدين الايوبى حاكما شهما نبيلا

متسامحا . كتب صفحة مضيئة فى تاريخها . وأقام لها مركزا حربيا منيعا . وجعلها ملاذا ثقافيا يرنو اليه العالم ببصره . ووجدت فى محمد على مع حكمه الاقطاعي حاكما مجددا .. أدخل الصناعات ونظم طرق الرى وأدخل زراعة القطن طويل التيلة . وقوى الجيش .

والى جانب هذه القلة الصالحة . نكبت مصر بملوك وأمراء وحكام كثار . قتلوا باستبدادهم حريتها . وأضاعوا باسرافهم وترفهم ثروتها . ووجدوا بطانة نهازة منافقة زادتهم عتوا وطغيانا وغرورا . من أمثال بطليموس فلاديفوس فى عهد البطالسة الذى اهتم بالمهرجانات واقامة التماثيل له فى قصره وأرهق الفلاح والصانع بالضرائب المختلفة . ومن أمثال خمارويه فى الاسرة الطولونية . وكان متلافا مسرفا . ومن أمثال الحاكم بأمر الله وكان حاكما بأمره وهوائيا بعيد التعصب . ومن أمثال ابراهيم ومراد من المماليك . وعباس الاول وسعيد واسماعيل وفؤاد وفاروق الذين حكموا مصر حكما استبداديا . وعاشوا عيشة مترفة وكل همهم كان محصورا فى لذائذهم .. وانتهاب أملاك الدولة .

وكان بعض رجال الدين الرسميين من عوامل التأخر . اذ كانو فى أغلب العهود من المؤيدين لهؤلاء الملوك والامراء الطغاة المنحرفين . كما كانوا بجمودهم وتزمتهم ومحاربتهم للعلم غير جديرين بحمل رسالة الدين .

ويضاف الى ما تقدم من عوامل التوهين والتأخير . ما كان يقنصه الخلفاء المستبدون من ضرائب منوعة كثيرة . وما كان يستلبه بعض الامراء من أموال فى أيام ولايتهم . وما خلفه الاتراك والمماليك من نظام اقطاعى . أضف الى ذلك حالة البلاد الاقتصادية حتى عملت ثورة يوليو ١٩٥٢ على التحرر منه .

ومن الاهمية بمكان ان نسجل حقائق ثلاثا تترشح لنا من دراسة تاريخ مصر الطويل : الاولى هى وجوب استعداد مصر حربيا لرد عادية المغير عليها والطامع فيها بالنظر لموقعها الجغرافى الفريد . وبخاصة بعد أن زرع الاستعمار دولة اسرائيل .

فلقد كانت مصر فى فجر التاريخ آمنة وكان اهلها مسالمين ، كانت آمنة لحماية الصحراء لهم . وعندما هاجمها الرعاة وجدت فى مصر طبقة المحاربين : وتمكن أحمس من طردهم .

ولبثت مصر هدفا للمغيرين ، وهى وان تغلبت عليهم جميعا فانها

أبطأت فى ذلك ابطاء طويلا . وعاونها الصبر وعنصر الزمن فى ذلك وفى فترات حيويتها الحربية . تمكنت من صد هجمات المغيرين العتاة ، وكانت من اشد الاعوان للبلاد العربية عندما صدت هجمات التتار الوحشية . فى أيام الملك قطز . وعندما أنهت حملات الصليبيين فى أيام صلاح الدين .

وفى أيام الدولة الطولونية تعهدت للدولة العباسية بحماية الشام وأهله والعواصم والثغور فى طرسوس وما حولها .

وجدير بالجمهورية العربية المتحدة أن تضع كلمات عمرو بن العاص وهو يخاطب أهل مصر من مسجده . نصب عينيها فى كل زمان ومكان . . وانه ليقول :

« اعلموا أنكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم . تتجه قلوبهم اليكم . . وتتشوق الى دياركم . معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية » . .

والحقيقة الثانية : هى أن الاقليم الجنوبى بلد ديمقراطى بطبعه . وانها ليست حديثة العهد بالحكم النيابى . وليس الدستور طارئا جديدا عليها . فلقد شهدت فى حكم امنحوتب الثالث من ملوك الاسرة الثانية عشرة نوعا من الحكم النيابى . فقد أنشأت قصرا فخما على مقربة من اللاهون بالفيوم . . كان يجتمع فيه نواب من كل اقليم يتشاورون فى شئونها . .

وشهدت أيام العرب حكما شوريا فى جوهره ، وان لم يشكل بالشكل البرلمانى الحاضر . ووجد بها مجلس شورى النواب أنشىء فى اكتوبر ١٨٦٦ وكان مكونا من خمسة وسبعين عضوا وكانت له لائحة تأسيس هى بمثابة الدستور . وفى عام ١٩١٣ انشئت الجمعية التشريعية . ثم خطت خطوات واسعة بعد ذلك ، وأنشىء بها حكم برلمانى فى عام ١٩٢٤ ولولا محاربة المستعمر له ومجاهدة فؤاد وفاروق لسار هذا الحكم سيرا موفقا .

وتبقى حقيقة ثالثة تفوق ما تقدم من حقائق . هى أن وجود الاقليم الجنوبى فى قلب البلاد العربية . وبين الشعوب الافريقية والاسيوية يحتم عليها الارتباط الوثيق الدائم بالبلاد العربية الاخرى . على أن يشمل هذا الارتباط النواحى السياسية والاقتصادية والانتاجية والمالية والثقافية . وهذا الارتباط تدعو اليه دوافع العروبة الصحيحة وتاريخ مصر عبر القرون الطويلة وتمليه اواصر الموقع الممتاز

ووحدة اللغة ووحدة المصالح . ولن ننسى توثق هذه الروابط بين مصر وهذه البلاد فى فجر التاريخ . ولن ننسى أيضا تبادل الثقافات بينها فى أيام عصور الغزو . ولن ننسى تقدمها الحضارى فى القرون الوسطى فى العصر الاسلامى . ولن ننسى وقفات مصر الخالدة فى رد هجمات التتار والصليبيين . ومساهمتها فى استقلال لبنان وسوريا فى الحاضر .. وفى معاونتها الاخيرة للاردن وحمايتها للنقب وخليج العقبة . وهما المنفذ الى بلاد الحجاز وشرق الاردن .

صلات جغرافية وتاريخية وروحية وثقافية وثيقة .. توجب علينا التوحد واعتناق العروبة عقيدة . وهى عقيدة تقدمية انشائية بلا مراء .

وننتهى مما تقدم من حقائق كبيرة الى صورة مصغرة من عوامل التقدم أو التأخر فى الاقليم الجنوبى . . وهى عوامل أثرت الى درجة ما فى البلاد العربية الاخرى . . عبر تطورات التاريخ ، ومن هذه الحقائق نضع الاساس المشترك الوطيد للايديولوجية العربية الجديدة .

اركان الايديولوجية الجديدة

وننتهى : بعد هذه الجولة التاريخية الطويلة ، الى أن الروحية البانية كانت من اركان التقدم العربى . وان الروح الديموقراطية من اركان انبثاق الفكر الحر فى ايجاد الحضارة العربية .. وأن العروبة هى فكرة تقدمية انشائية . وفى ظلالها يقوم التقدم الحقيقى البلاد العربية .

وعلى هذه الحقائق القائمة على التاريخ العربى الحى ، يمكن تأسيس ايديولوجيتنا الجديدة .. وعلى ما استعرناه من فكرات مذهبية اخرى كالفكرية الديموقراطية الحديثة والفكرية الاشتراكية المعتدلة ، يتكون مزاج هذه الايديولوجية .. فى وحدة متفاعلة متكاملة ..

والبيئة العربية اليوم .. وان تيقظت وزكا وعيها ، فلايزال يهوم عليها طائف التقاليد والاعراف المؤخرة . والفكرات التقدمية لم تختمر فيها . ولا مفر اذن من تغير جذرى فى كثير من مواضعاتها وطرائقها الحياتية .. ودفعها الى الامام فى النواحى الفكرية والاقتصادية ، وقد أصبح هذا ممكنا بعد أن تفتحت القلوب والاذهان : وتولد وعى جديد للبعث . وازاحة هذه العباءات السود التى خلعتها عليها عهود الظلام ..

واهم ما يقوم عليه التغيير هو بث الثقافة الروحية البناءة فى ارجاء البلاد العربية :

الثقافة الروحية

والروحية التي نقصد اليها ، هي تلك التي تستمد جذورها من جوهر الدين وروحه : وتنهل من نبعه الصافي . ومبادئه الانسانية وتعاليمه الاجتماعية والخلقية السامية . وتطبق هـذه المبادىء والتعاليم تطبيقا عمليا ، لا قوليا .

وأول هذه المبادىء ، التجرد عن الطائفية الدينية . التيسببت النكبات في قرون وقرون .. ومعـاملة جميع الطوائف معـاملة ديموقراطية شاملة ، والتسوية بين الجميع .. لا فرق بين عربي وعربي الا بالمقدرة .. وفضـيلة المواطنية .. ناظرين الى التراث الاسلامي والمسـيحي نظرة قومية وانه عنصر من التراث العربي العام ، وأن كليهما على ضوء هذه النظرة .. يعدان عاملا لتوحيد بين ابناء تلك الطوائف(1) .

وهذه النظرة القومية الانسانية المتسامحة هي نبع من ينـابيع الديانة الاسـلامية والمسيحية ، فالاية القرآنيـة الكريمـة : « يأأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .. » تزكي هذا المبدأ القومي الانساني ، وآية الانجيل : « ان الله ، لا يوناني ولا يهودي . لا بربري ولا احمر . لا عبـد ولا حر » شهيدة على هذا التسامح الكريم بين جميـع الطوائف والملل .

وقد شهد التاريخ انه في ظل هذه الروح العربية المتسامحة : انتشرت الحضارة العربية ، وربت الثقافة ووجدت الفلسفة طريقها الى العربية ؛ وعندما ساد التعصب تدهورت هذه الحضـارة ، ومدت عصور الظلام رواقها على ابنـاء العروبة ، وفي ذلك يقول برتران توماس في كتابه « العرب » :

« ليس التدهور الحضاري العربي ؛ راجعا الى الدين ، انمـا

---

(1) العقل في الاسلام ـ تأليف كريم عزقول ص
مكتبة صادر ـ بيروت

يرجع الى التعصب الضيق الافق ، ولتفسير المنحرف للدين

ومن المبادىء الدينية الاساسية، المحبة؛ وهى ليست احساسا عاطفيا ذاتيا فقط ؛ بل هى عنصر ضرورى لتضامن الاجتماعى ،(١) وهى تثمر روحا من التعقل واصالة الرأى وتبادل المنافع ، وتمنع الاحتكاك والنجوء الى القوة ؛ وهى قوة دافعة الى الخير ، والى العدالة وخلق مجتمع ينتفى منه الاستغلال وابتزاز اموال الناس؛ وما الخدمات الاجتماعية التى تطبق حدينا الا اثر من آثارها .

والاخوة التى نادت بها الثورة الفرنسية هى وحى من ايحاءاتها، والاشتراكية العاملة على انصاف العامل انهام من الهاماتها .

ويقول الكاتب الروسى نيقولا برادييف : انها كانت حافزا من الحوافز التى حركت روسيا الحاضرة الى ايجاد مجتمع تزول فيه الطبقات ، الا ان زعماء روسيا قد حادوا عن روحيتها واستخدموا العنف واراقة الدماء ، وجعلوا حركتهم مادية ملحدة (٢)

والى هذه المبادىء الدينية العظيمة التى اوجزنا الحديث عنها، التسامح والمحبة ؛ والعدالة والاخوة ، تنبت مبادىء اجتماعية جليلة نذكر منها الحرية : والتعاون الاقتصادى ، والحرية فى جوهرها روحية ، وقد دخلت فى ميدان الحياة ، وعملت على ترقية المجتمعات ، اما التعاون الاقتصادى فبذراته مبثوثة فى الديانات المنزلة : ومن آيات ذلك قول القرآن الكريم « والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . وما نجده فى التوراة من الحض على ترك جزء من المحصول للفقير والغريب ، فقد جاء بسفر اللاويين بالاصحاح التاسع عشر « وعندما تحصدون حصيد ارضكم ،لاتكمل زوايا حقلك فى الحصاد : ولقاط حصيد لاتلتقط ، وكرمك لاتعلله ونثار كرمك لا تلتقط ، للمسكين والغريب تتركه » .

فمثل هذه المبادىء الروحية واشباهها ؛ هى حوافز تقدمية بلا ريب ، وقد كانت قوى قوية فى احداث التغيير بالمجتمع : وهى

---

(١) آراء رينولد نيوبهر فى كتاب « اعلام الفكر الاوروبى » تلخيص حبيب سعيد ص ١٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٨

جواهر نفيسة جديرة بابرازها وتطبيق وحيها فى المجتمع العربى المتوثب لتقدم ؛ بدل اللجوء الى الترهيب والتخويف واذاعة الاسرائيليات ، وبعض مقولات المتصوفة المعيقة للارتقاء . من مثل قولهم :

« الفقر نور » و « والحيلة ترك الحيلة » و والمؤمن لا يخلو من ذلة وقلة وعلة » » ! وان طلب الرزق واسبابه ليس بلازم للعبد واشباهها من الاقوال القاتلة للحافز الى العمل والجد والجهاد فى الحياة .

وفى ذلك يقول الفرد بونيه فى كتابه « الدولة والاقتصاد فى الشرق الاوسط » :

« ان الملحوظ بين ارباب المهن كالتجار والمقاولين من رجال الشرق العربى : عوز الدافع والاراء الخلاقة ، ومرجع هذا الى رواسب التعاليم الصوفية

ومن وحى هذه الروحية ، فتحت القلوب والعقول على تامل ما فى الكون ؛ وتدبر ما يعج به من أحداث وما يجرى فيه من شئون وبفضل هذا الايحاء سعت البلاد العربية فى عصورها الذهبية الى المعرفة ، وتوسعت فى فنون العلم ؛ وطلب الحقيقة ، والقرآن الكريم ملىء بالايات الكثيرة الداعية الى التامل والتفكير ، وفى الانجيل آيات مماثلة ، واقوال الرسول عليه الصلاة والسلام دعوة جهيرة الى الارتواء من العلم ، وطرق أبواب المعرفة من كل سبيل ؛ فالحكمة ضالة المؤمن ، وطلب العلم فريضة ، ومداد العلماء خير عند الله من دم الشهداء ، هى دعوات صريحة الى التزود من المعرفة وفضل طلابها ؛ وما جاء فى الانجيل من قوله : « تعرفون الحق ، والحق يحرركم » وقوله : « الحمقى يبغضون العلم . اما اذن الحكماء فتطلب علما » .

مثل هذه الاقوال النورانية دفعت بالعرب الى ميادين العلم فى العصور الذهبية ، وحينما كان علماء المسلمين يضعون أسس العلم الحديث ؛ كان المفكرون من المسلمين والمسيحين يبحثون معا معضلاتهم الفلسفية واللاهوتية المشتركة ، ويفيد بعضهم من بعض كثيرا من ضروب المعرفة (١) ـ

ولما هجر ابناء العروبة هذا النزوع العلمى الحضارى تدهورت حضارتهم ، وعاشوا فى الظلام عدة قرون ، وفى ذلك يقول برتران توماس فى كتابه « العرب » السابق الاشارة اليه :

(١) الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ص ٤٢

« ان الدين فى نقائه لم ينابذ التقدم : بل انه فى ايام الحضارة العربية سار جنبا الى جنب مع العلم ، وان تقدم الحضارة الباهر فى ايام المنصور والمأمون يرجع الى ملازمة الدين للعلم ؛ وعند افتراقهما تدهورت الحضارة العربية .

ولا يتسع مجال هذا الكتاب ، لبسط المبادىء الاجتماعية والخلقية والانسانية ، التى تنبع من آثار الدين الصافية . ومحور هدفنا هو اعادة تجديد الفهم الدينى ، وابراز مبادىء الدين الروحية ، الداعية الى التسامح والمحبة ، والاخاء ، والحرية والتضامن الاجتماعى ، والى العمل والتفكير ، وان تعمل المؤسسات العربية على الدعوة لهذه المبادىء ؛ ووضع منهاج روحى تقدمى تسير عليه هذه المؤسسات . فلا يكون المنبر الدينى أداة للوعظ الكلامى فقط ، بل يكون منبرا للدعوة الى النواحى الاجتماعية والفكرية ، وحل مشكلات الناس اليومية . وينبثق من المسجد او المعبد ، نشاط حى للخدمات الاجتماعية والتعاونية بشكل عملى ملموس ، كما تكون المدرسة مثابة توجه طلابها الى القيم الروحية أو المثل العليا ، المنطوية على النظر الى الانسان من حيث انسانيته تاركة التعاليم الغيبية ، والمسائل العويصة التى قد يتلقاها الطلاب بتحفظ عقلى ، وعاملة فى الوقت ذاته على معاونة الطلاب على الخروج من أزماتهم الانفعالية .

ومثل هذا الاتجاه الجديد ، يتطلب كوكبة من المفكرين الشجعان البصراء لعمل على تنقية الدين من شوائب البدع والخرافات وتطهيره من الاساطير والاسرائيليات، التى ترعرت فى عصور الجهل والتعصب ، والاستبداد . رجالا مجتهدون يفسرون الدين على ضوء العقل ويجعلون منه أداة تقدمية انشائية ، ويضعون المعارف الروحية الصالحة لتوجيه رجل الدين ، والمدرس ، ورجل الدولة بهذا الاتجاه الثورى الجديد .

واذا لم تتقدم النخبة الواعية لمسايرة الوعى العربى الصاعد وحل مشكلاته حلا عصريا . فسيبقى الشباب العربى يفصل بينه وبين رجل الدين . برزخ واسع ؛ وستعطل فى البلاد العربية أداة من أدوات الثقافة الروحية والوجدانية بل الفكرية النافعة .

وانه ليسوءنا ان نرى جماعة من أهل التدين . يقفون فى جمود

وتزمت الى اليوم فيحملون على المراة وتطلعها الى نيل حقوقها المدنية والاجتماعيه والسياسية او يحملون على النظم الديموقراطية وفيها حصنة كبرى للشعوب العربية او يتهجمون على العومية مع انها دعامة الوحدة والالفة فى كل بلد عربى . او يقفون فى وجة التشريعات الحديثة التى قد يظنون انها لا تتواءم مع الآراء السلفية وأمثال هؤلاء الجامدين المتزمتين . يعرقلون ركب التقدم ؛ ويحكمون على أنفسهم بالعزلة والحصر الذهنى .

ومن حسن الحظ . أننا نجد الى جانب هؤلاء جماعة منورة تحاول ان تكشف عما فى روح الدين وجوهره من طاقات تقدمية وقدرة فائقة على مسايرة الروح العصرية فى المسائل الدنيوية والعقلية والقانونية . فيرى الدكتور على فيظى فى بعض مقترحاته التجديدية : الفصل بين العقائد ومقرراتها وبين مبادىء القانون وقواعده . وعادة تفسير الكونيات ويترك من نسيج الدين النواحى التى لايقرها العلم ويرى الدكتور عبد الدايم البقرى فى كتابه « الفلسفة الاسلامية » :

« ان الحرية التشريعية جائزة وصحيحة لان الضرورات تبيح المحظورات ولهذا يضحى بالدين لخدمة الفرد ولخدمة الجماعة . وان التشريع للدولة يخضع لخصائص الامه وطبائع الشعب وتفكيره مستضيئا بمبادىء القرآن والسنة . وهما يقبلان كل شيء فيه مصلحة عامة ، ومصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، هما الهدف الاول . أن لم يكونا الهدف الاوحد (١) .

ويرى العالم الحجة المرحوم عبد الوهاب خلاف : « ان الاحكام الدنيوية ما قصد بها الشارع الا تحقيق مصالح الناس ، ومحال أن يكون المجتهدون السابقون قدروا مصالح عصرهم ومصالح العصور المستقبلة ، كما انه غير سائغ ولا مقبول ان ننظر الان فى تقدير المصالح بالعيون التى كان ينظر بها المجتهدون فى القرن الثالث الهجرى مثلا (٢) .

---

(١) الفلسفة الاسلامية للاسلام ص٣٥،٣٦ — ١٩٤٧

(٢) مجلة لواء الاسلام : مقال بعنوان « واجبنا فى خدمة الفقه الاسلامى » .

وتبعا لهذه النظرات التقدمية الحصيفة ؛ يمكن بناء كيان تقدمنا الاجتماعى والسياسى ، دون اختلاف ، ولا مما حكة ؛ فتكون امور الحكم من الامور التى يجب فيها الشورى ، ويعول فيها على راى الاكثرية ؛ واتباع النظام الديموقراطى ، ويؤيد هذا ما جاء فى كتاب الاستاذ عبد المتعال الصعيدى « فى ميدان الاجتهاد » : أن الاخذ براى الكثرة سنة من سنن الدين ، وان هذا مباح فى أمور الدنيا كلها وهى من السعة بحيث لاتحصى ولا تعد » (١)

والمبادرة الى ايجاد نظام للاسرة العربية موائم لروح العصر . من الضرورات لتقدم ، دون تقيد بآراء بعض الكاتبين ، وذلك بالاقتصار على زوجة واحدة الا فى حالة الضرورة القصوى ، وهذه الضرورة لايقدرها الزوج الذى يتابع أهواءه ونزواته ، بل يقدرها القاضى ، ولا يباح الطلاق أيضا الا فى حالة الضرورة القصوى ، ويقدر ذلك القاضى ايضا ؛ وفى حالة التعدد او حالة طلاق الضرورة ينظر فى تأمين المراة ، كما ينظر الى رفع القيود عن المرأة فى حالة خلافها مع زوجها ، وانظر فى الغاء مايسمونه « بيت الطاعة » عند ادعاء الزوج مجافاتها له أو نشوزها عنه .

ومثل هذه المقترحات ، مما تؤيدها روح الدين ، ومما تقتضيه المصلحة العامة فى هذا العصر ؛ وقد جهر به بعض رجال الدين ونذكر مما وقع لنا فى هذه الناحية ، رأى الاستاذ عبد المتعال الصعيدى ، وقد هاله تأخر الاسرة المصرية المسلمة ، وما يحدثه تعدد الزيجات من سوءات ؛ فى وجوب تقييد التعدد والاقتصار على الزوجة الواحدة ، جلبا لمصلحة الاسرة ودفعا لمفسدة أبنائها، اذ قال : ان التعدد ليس واجبا ولا مندوحا بل مباح ؛ وحكم الاباحة تسرى عليه سائر الاحكام ، ويجوز لسلطان أن يغير فيه

---

(١) ص ١٢٥ من الكتاب المذكور

ويبدل بحسب ماتقتضيه ظروف الاحوال والزمان (١)

وكذا الحال فى الطلاق فهو « ابغض الحلال الى الله » حتى ان بعض الفقهاء ـ كما جاء فى المبسوط ـ ذهب الى حرمته (٢) .

ويطيب لنا ان نسجل فى هذا المقام ، سبق تونس الى تقرير هذه الحقوق التقدمية للمرأة ، فقررت عدم اباحة التعدد الا فى احوال نادرة ، وبحكم من القاضى . كما قررت عدم اباحة الطلاق الا بحكم من القاضى .

وبمثل هذه التشريعات العصرية وامثالها تدعم الاسرة العربية، وهو ماتفكر فيه مصر ، وما سجلته فى دستورها الجديد فى المادة ١٨ من كفالتها ندعم الاسرة وحماية الامومة والطفولة ، وهو مانعتقد انها سائرة فى تنفيذه فى وقت قريب .

ونحن لانقف عند هذه التجديدات القليلة ، ولكنا نرى المبادرة فورا الى احداث تجديدات شاملة واسعة ، توحى بها المبادىء الروحية التى اسلفنا على ذكرها من مثل : اتباع سياسة عادلة بين جميع الطوائف فى البلاد العربية ، وتربية روح التسامح الدينى، وتغيير المناهج الدينية التى تدرس الان ، باختيار النصوص المتفقة مع العلم ، وروح العصر ، وتفسير هذه النصوص على ضوء العقل ، وتوسيع آفاق طلاب الدين العلمية والسيكولوجية والاقتصادية ، ليعاونوا على تشكيل الخلق العربى ، وتكييف شخصيته، وتاهيله للايدويولوجية الجديدة التى ندعو اليها، والتى تتفق فى امر معنوى واحد هو خير المجتمع العربى، وفى امر اجتماعى هام هو تقدير الانسان والاعتزاز بكرامته ، وفى امر فكرى نافع ، هو الاهابة به الى التفكير والتامل ؛ وفى امر سياسى عام هو استقلاله ومعرفة حقوقه الدستورية ، وفى شىء اقتصادى عام هو عرفان حقوقه الاقتصادية لرفع مستواه المعيشى .

.. وبهذا يحدثون ثورة روحية تقدمية بناءة .

---

(١) « لماذا انا مسلم » ص ٤٧

(٢) المرجع السابق ذيل ص ٥٣

الديموقراطية الموجهة

والركن الثاني من اركان الايديولوجية الجديدة هو الديمقراطية، التي تعتمد حرية القول والفكر والمساواة بين جميع الافراد والطوائف ، وروح التسامح ، والرضا بحكم الكثرة الشعبية . كما تعتمد الايمان العميق بكرامة المواطن وحقوقه الانسانية .

والديمقراطية ليست نظاما لحكم فقط ؛ وانما هي أسلوب حياتي يسير عليه الكافة فى معاملاتهم ، واتصالاتهم ، وهى بهذا تستمد وحيها من المبادىء الروحية السامية التى اسلفنا على ذكرها قريبا ، وعلى راسها المحبة والاخوة والعدالة والتسامح .

وهذا الاسلوب الحياتي هو حجرالزاوية فىبناء نظامديموقراطى لحكم ، وتحقيقهذا الاسلوب ليس سهلا كما قد يبدو أولوهلة، ولكنه يحتاج الى جهاد نفسى شاق ، لما جرى عليه التقليد من تمايز الافراد اصلا ومولدا ، وكفاية ؛ وعملا ؛ نتيجة لسيطرة الاقطاع ؛ والارستقراط ، وما رسب فى كثير من الاذهان العربية من سلطان الغزاة والمستعمرين .

ولهذا لا مفر من بذر الوعى الديموقراطى فى المجتمع العربى، لتعود اليه حريته ، وتنبعث شجاعته ، وتنبثق نزعته الى الابداع والاصالة .

وحالما يتقوى الوعى الديموقراطى ، فان نظام الحكم يتلون بروحه ، ويسير سيرا موفقا رشيداً ؛ فالوعى قوة لكل نظام .

الوعى الديموقراطى

والوعى الديموقراطى لا يقتصر على الناحية الروحية والادبية او الناحية السياسية والمدنية ، بل انه قد تغلغل فى النواحى الاجتماعية ، والاقتصادية ، وقد ابان التطور التاريخى تنقل هذا الوعى وتطوره ؛ وتعمقه ، وسجلت الدساتير الحديثة هذا التطور الحديث .

فلقد كانت دساتير ماقبل الحرب الكبرى الاولى مقصورة على حقوق الافراد السياسية والمدنيه ، ثم انفنت بعد أخرى ، الى الحقوق الاجتماعية ، والعمل على خدمة الشعوب بايجاد عدالة اجتماعية — وذلك فى الفترة مابين الحربين الكبيرتين . وهذا مثبوت فى دساتير البلاد الديموقراطيه المتقدمه مثل السويد والنرويج والدنمرك وسويسرة ، وفى الفترة التى أعقبت الحرب الثانية تناولت الدساتير الحقوق الاقتصادية والعمل على رفع المستوى الاقتصادية لشعوب ، وهذا مانجده فى كثير من دساتير البلاد الاوروبية ، مثل فرنسا .

وقد خطت بعض البلاد العربية خطوات طيبة فى هذا السبيل، فاشتمل الدستور السورى على كثير من هذه المبادىء الجديدة، كما احتوى الدستور المصرى الصادر فى عام ١٩٥٦ على مثيلاتها، فجمع بين الحقوق السياسية ، والحقوق الاقتصادية ، وأجاز حريه النشاط الاقتصادى الخاص ، على أن لا يعدو على النشاط الاقتصادى العام فى المادة الثامنة والعاشرة من هذا الدستور ، وأباح استخدام راس المال فى خدمة الاقتصاد القومى على أن لايتعارض فى طرق استخدامه مع الخير العام للشعب فى المادة التاسعة

ولا يتسع هذا البحث لبيان ماسجله الدستور من حقوق اجتماعية و قتصادية ، لم يعرفها واضعو دستور عام ١٩٢٣ وخلا منها خلوا تاما .

وليست العبرة بالطبع بما يزدان به الدستور من مبادىء تقدمية ، ولكن العبرة بتطبيق هذه المبادىء ، تخلق الوعى الديموقراطى الجديد فى بلادنا العربيـة ، ليفهم الشعب ورجال الحكم والنواب هذه المبادىء ، وكيف يزرعونها فى قلوبهم ، ويعمقونها فى أذهانهم .

خلق الوعى الديموقراطى

ولا مفر لخلق الوعى الديموقراطى من وجود مواطن مثقف ، فالمواطن المثقف يكون أكثر نزوعا الى روح التسامح . والتفاهم مع من يختلف معهم فى الرأى ، والناخب المتعلم أقدر على التمييز والحكم على من يتقدمون للنيابة عنه فلزام علينا لتخمير هذا

الوعى المبادرة بتعليم المواطن العربي ومحو الامية محوا نهائيا فى أمد قصير من جميع البلاد العربيـة على أن يجنـد المتعلمون مع الحكومات لهذا الهدف القومى النبيل ، فـلا تقـدم ديموقراطى حقيقى بغير هذا التعليم ، وفى هذا يقول الكاتب الكبير توماس مان فى كتابه « الديموقراطية القادمة » .

« ان غاية الديموقراطية هى تعليم الشعب ، والديموقراطيـة الحقة ارض خصبة القريحة والادب ، والحقائق النفسية .

وليس التعليم وحده هو وسـيلة تقوية الوعى الديموقراطى ، بل لامفر من العمل على رفع مستوى المواطن المادى ، فمثل هذا العمل ، يقوى حرية المواطن ، ويشعره بتدره وكرامته ، بل يجعله فى كثير من الاحيان نزاعا الى التسامح ، ويقول الكاتب الاشتراكى الشهير هارولد لاسكى فى هذا الصدد : ـــ

« أن الرأى العـام لايتقوى بالتعليم فقط ، بل بترقيـة حال الناس الاقتصادية ، وان تنظيم الجماعات حسنة الحال أسـهل بكثير من تنظيم الجماعات الفقيرة » .

الاتحاد القومى

واذا كان الناخب لم يتزود بعد بالثقافة المطلوبة ، ولم يرتفع مستواه المادى لمواجهة اى اغراء مادى من المتقدمين للنيابة ، فعلينا مواجهة هذا الواقع المادى ، لايجاد ديمقراطيـة تتفق مع هـذا الوضع ، وقد فكر كثير من المفكرين فى هـذه النـاحية ، فارتأى بعضهم جعل الانتخاب على درجتين وارتأى آخرون تمييز الناخب المتعلم على الامى واعطائه اصواتا أكثر ، وهذه الاراء هى آراء ضيقة متعصبة ، وتخالف الروح الديموقراطى الشعبى ، لان الانتخاب المبـاشر الذى لايميز مواطنـا على آخر هو جـوهر من جواهر الديموقراطيـة كما يقول الكاتب الانجليزى الحر ولف فى كتـابه « بعد الطوفان » فضلا عن انه وسيلة لتهذيب الرأى العام ، كما انه يشعر المواطن بذاتيته .

وقد فكرت مصر فى وسيلة جديدة موجهة للنـاخب ، بتكوين اتحاد قومى ، لترشـيح المتقدمين النيـابة من ذوى الصـلاحية والامتياز ، وهذا ماسجله الدستور المصرى الجديد فى المادة ١٩٢

وهو استحداث جديد لم يرد فى الدساتير الغربية ، وقد يكون هذا أداة لتغلب على عدم قدرة الناخب وحكمه على اقدار المتقدمين للنيابة ، وطريقة يمكن بها ملافاة ضعف مستوى المرشحين ، مما يترتب عليه ضعف السلطة التشريعية ازاء السلطة التنفيذية ، كما ورد بالمذكرة التفسيرية لقانون رقم ٢٤٦ لسنة ١٩٥٦ .

ومهمة الاتحاد القومى مهمة خطيرة ، فى تهيئة جماعة متوازنة منسجمة ذات ميول وطنية تقدمية ، وأول واجباتها النظر فى تفادى العيوب التى كانت موجودة فى حياتنا النيابية السابقة ، باختيار الاقدر والاصلح من المتقدمين للنيابة . كما يختار القضاة من أطيب العناصر ، على أن يراعى فى هذا الاختيار تمثيل جميع الطوائف : فيكون من المرشحين عدد من ممثلى الفلاحين والعمال والصناع وعدد من ذوى المهن الحرة ورجال الاعمال ذوى النيات الخيرة ، وترك الراسماليين الكسالى والتافهين ، لان وجودهم بمجلس الامة يؤثر فى قراراته تأثيرا غير مرغوب فيه .

ونحن نكتب هذه الكلمة قبل تكوين الاتحاد القومى ، ونشهد من المتقدمين للنيابة اناسا لاكفاية ولا تجربة لهم ، وادعياء لايدرون شيئا عن الاعمال البرلمانية ، وقد دفع هؤلاء الى التقدم للنيابة حب الشهرة والظهور ، وأمثال هؤلاء يجب استبعادهم ، ويرشح للنيابة ذوو المقدرة والتجربة والخلق القوى والشجاعة والنزاهة. دون النظر الى اى اعتبار آخر .

ونحن نعتقد أن هذهالتجربة الانتقالية الجديدة ، سوف تكون نقطة تحول فى حياتنا الديموقراطية اذا وقع الاختيار على ذوى الكفاية والخلق اقوى ؛ واذا انتهى انتخاب الشعب بفطرته الذكية الى أحسن المتقدمين واقدرهم ؛ دون نظر الى اعتبار الغنى أو الاصل او المهنة أو اختلاف الجنس ، فالفقير الكفء خير من الغنى العاجز ، والعامل المتعلم المتحمس خير من القاعد العريق الاصل والصانع المتفتح الواعى خير من صاحب العمل المقفل والمراة المتقدمة حديثا للنيابةقد تكون اكفا واقدر ، وانفعمن الرجل

وستكشف الايام القريبة عنجدوى هذهالتجربة اذا استخدمت استخداما واعيا بصيرا عن مجلس جديد حسن التوازن فىتمثيل

الشعب ؛ وعن وجوه جديدة تؤدي عملها فى شجاعة وحرية؛ فتتفق مع الحكومة فى المسائل القومية ؛ وتنفذ أعمالها العامة فى اخلاص وذكاء .

قوة النظام الديموقراطى

ولكى تزدهر الديموقراطية ــ لا مفر من وجود حكومة رشيدة قوية و واب عاملين متحركين ، وانظمة وطيدة تدعم النظام الديموقراطى ، وتتفادى سيئاته المعروفة .

وفى البلاد العربيةحكومات مختلفة النظم منها حكوماتجمهورية ديموقراطية ، ومنها حكومات ملكية ديموقراطية ومنها حكومات ملكية لم تعتمد النظام الديموقراطى الى اليوم .

وبغض النظر عن نوعية النظام ، بادى الرأى ، فانه يهمنا فى الدرجة الاولى صفة الحاكم الاول ، رئيس جمهورية كان أو ملكا ، لان فى يده مصير شعبه ومستقبله ؛ وشعبه أمانة فى عنقه ، وفى وسعه العمل على انهاضه ورفع شأنه

والحاكم الاول فى اى نظام له سلطة واسعة ، وان تقيدت هذه السلطة بارادة الشعب ، ولكنه على اى حال مسئول عن التفانى فى اسعاده والسعى الى خيره والتجاوب معه فى رغباته وميوله ، وسعادة الحاكم من سعادة شعبه ، فاذا تقدم الشعب وشعر بالرخاء ، سطع حاكمه وعظم قدره ؛ واذا افتقر الشعبأو ضعف؛ ضاعت سطوة الحاكم وخفت قدره .

والحاكم الاول اذا كان يسير على النظام الجمهورى أو الملكى، له سلطاتعدة يشترك معهفيها العاملون معه ، فالحاكمالجمهورى له وضع السياسة العامة لحكومة . وله حقتعيين الوزراء ، وله حق الاعتراض على القوانين ، وله حق حل المجلس النيابى ، وغيرها من الحقوق . ولكن هذه الحقوق مقيدة بارادة الشعب، وبمعانى الواجب ، واملاء الضمير ؛ فهو فى وضعه السياسة العامة ينظر الى صالح بلاده وخيرها ، ويرجع الى آراء وزرائه ، ويسير على الرأى السديد الذى يترشح من تبادل الاراء معهم ؛ وهو فى تعيين الوزراء ينظر الى الرجال البارزين ومن يرضىالمجلس النيابى عنهم ، وهو فى اعتراضه على قانون ماينظر الى الصالح

العام قبل اى اعتبار آخر وحقه فى حل المجلس مقصور على الحالات الخطيرة اذا ماتضافرت الدلائل على ان المجلس لا يمثل الامة ، ولهذا نرى بعض الدساتير الحديثة تحدد مدة لا يجوز فى اثنائها الحل وهى مدة ثمانية عشر شهراً ، وهذا ماجرى عليه الدستور الفرنسى فى المادة ٥١ ، والدستور السورى فى المادة ٨٥

وكذا الحال فى الملك الدستورى ، فهو وان كانت الدساتير قد رفعت عنه المسئولية السياسية ، الا أن له اقامة الحدود الدستورية ، وله حقوقه فى اختيار الوزير الاول وفى اقالة الوزارة ، وحق حل المجلس النيابى ، وحق الاعتراض على القوانين؛ ولكنه لايلجأ الى هذه الحقوق ؛ الا فى الاحوال بالغة الخطورة ،وفى الازمات الحادة ، كحالة تصدع حزب الكثرة او نشوب تطاحن حزبى نازل ، او عند انحراف حزب الكثرة عن واجبه الدستورى وما اى هذه الاعتبارات الخطيرة ، ومع هذا فالملك الديموقراطى يمكنه بنشاطه وجده انهاض شعبه ، والعمل على خيره ونفعه .

ويتلو رؤساء الدول فى الاهمية ، الوزراء ، وينبغى أن يكونوا من ذوى الكفاية ؛ والافق الواسع ؛ ومن الذين يدينون بحب الخدمة العامة وحبذا لو كان بعضهم من المتخصصين فى أعمال وزاراتهم ، فقد اثبتت التجربة ان الوزير غير الملم بأعمال وزارته يكون العوبة فى يد كبار الموظفين على حين ان الوزير القدير المستقيم الشاعر بمسئوليته ، يسير سيرا رشيدا وينفث فى الموظفين العاملين معه ، النشاط والحيوية ؛ وروح الديموقراطية .

وليس الموظفون بأقل اهمية من الوزراء فى ادارة أداة الحكم، ولهذا ينبغى ان يختاروا من ذوى الكفاية والخلق والحزم ،والحياد السياسى ، ومن الاهمية بمكان الاهتمام بميولهم الديموقراطية . وذلك لقضاء على البيروقراطية الحكومية ، فقد كابدت الشعوب العربية ؛ ولا يزال يعانى بعضها من عقلية الموظفين المتعجرفة التى تشبه عقلية رجل الصناعة ، ولا مفر اذا وجد تطهير فى حكومة عربية من تطهيرها من امثال هؤلاء الموظفين الذين يظهرون العداء للناس؛ او يعملون على عرقلة اعمالهم .

نواب الامة

وليس يخاف ان النواب فى الحكم الديموقراطى من أعمدته القوية ، وقد ذكرنا آنفا السمات العقلية والخلقية التى يجب ان يتسموا بها ، ولابد قبل كل شيء ان يكونوا من ذوى المبادىء الديمقراطية والاراء المتحررة المتجددة ، فان النواب الجامدين والتقليديين والمتشككين ؛ لايفيدون البرلمانية ، بل قد يرجعونها القهقرى .

والمعروف ان أعمال النواب خطيرة ، فهم الذين يراقبون أعمال السلطة التنفيذية وهم حق اقتراح القوانين وطلب استيضاح سياسة الحكومة فى موضوع عام ، وتوجيه الاسئلة والاستجوابات الى الوزراء وطلب عدم الثقة بأحدهم وطلب تعديل الدستور وغيرها من الحقوق البالغة أقصى الاهمية .

والى هذه الحقوق ، عليهم واجبات كثيرة ، منها السعى الى ناخبيهم ؛ وتعرف مايقولون وما يفكرون فيه والعمل على انصافهم اذا وقع عليهم حيف ، وأهم من ذلك القيام بأعمالهم البرلمانية فى كفاية وجهد وامانة .

وهذه الحقوق الخطيرة ، والواجبات المهمة ، تجعل من الضرورى اشتراط توفر خبرة معينة فى النواب . كما يقول الكاتب الجهير هارولد لاسكى فى كتابه السياسة ، واذا كان يشترط فى الاعمال الحرة كالمحاماة ؛ أو الطب ، أو الهندسة كفاية خاصة ؛ فمن باب أولى لابد من توافر ميزات خاصة فى النائب من حيث الجدارة والكفاية فيكون حائزا على الاقل على شهادة الثقافة ، فضلا عن اشتهاره بالمعرفة والحصافة ، والاطلاع الواسع .

واذا كانت بعض الولايات الامريكية تتطلب من الناخب قراءة الدستور وتفسير مواده ، فما أجدرنا ونحن نتوق لديموقراطية متقدمة ان نطلب من النائب ادراكا أوسع ، وذكاء أعلى من مثل هذا الناخب .

ولزاما علينا تفادى اخطاء الماضى ، حيث كان يصل الرجل الى المجالس النيابية بقوه ماله او جاهه او نفوذ ابيه ، وليس من الصالح العام فى شىء ان يتولى النيابة غنى مثر لا نشىء الا انه صاحب مال ، فما يغنى المال عن صاحبه شيئا فى مقام النيابة اذا اعوزه العلم وقل نصيبه من الادراك (١) . بل انه من الخطورة بمكان أن يمثل الفنى الجاهل او السياسى المحترف ويتنحى الرجل الكفء الفاضل ، لعدم قدرته على الانفاق فى تزكية نفسه ونشر دعايته الانتخابية .

وكم يطيب لنا ان يضم المجلس كثيرا من العلمين المتفتحين ؛ والاطباء النوابغ ؛ والمهندسين العاملين ؛ ورجال الفن والعلم ، وكوكبة من ممثلى نقابات العمل على أن يكونوا من أكفا العمال . فقد أرسلت انجلترا الى برلمانها فى عام ١٩٠٦ ، تسعة وعشرين ممثلا من العمال ، كما قدمت نقابات العمال فى انجلترا ابرز رجالها واذكاهم من امثال ماكدونالد وهندرسون وكينز ، وقد كانوا من اقدر الوزراء .

ويحق لنا ان نسجل ما اتخذته بعض الدول الديموقراطية من وسائل للتقليل من سلطان المال فى وصول كثير من الاغنياء الى مقاعد النيابة ، ومن بين هذه الوسائل اقرار مبدأ التصويت الجبرى فى بلاد مثل بلجيكا ؛ ورومانيا ، وبلغاريا ؛ والدنمرك . واسبانيا فى اول عهدها بالحياة النيابية ؛ وتشيكوسلوفاكيا مع استثناء المرضى ، ومن بلغوا سن السبعين ، وقد سارت مصر على هذا المبدأ ؛ فأوجبت فى قانون الانتخاب رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ على كل مصرى وكل مصرية بلغ الثمانى عشرة سنة انتخاب اعضاء مجلس الامة .

ومن الوسائل الاخرى : تقليل نفقات الانتخاب ، وذلك بخفض امانة الترشيح ، وقد احسن الدستور المصرى بجعل أمانة الترشيح ٥٠ جنيها بدلا من ١٥٠ جنيها ، وتقييد نفقات الانتخاب : وهذا

---

(١) من مقال للاستاذ الكبير مصطفى مرعى بعنوان « فى ميدان الانتخاب ، نشر بمجلة اللواء الجديد .

ماسارت عليه بعض البلاد الديموقراطية . وكذا حظر نقل الناخبين فى عربات المرشحين الخاصة ، وقيام بعض الدول بنقلهم الى اماكن الانتخاب ، وغيرها من الوسائل .

ويهمنا اخيرا أن نسجل حقيقة كبيرة ، ينبغى أن يعرفها المقدم على العمل النيابى ، هى ان النيابة لم تعد مكانا للمباهاة ، او المفاخرة أو الظهور ، بل هى مثابة لعمل والدراسة الجادة والخدمة الصادقة وان النائب لم يعد قبلة يتجه اليها الافراد لقضاء مصالحهم الخاصة ولا مصدرا لتخويف أحد من رجال السلطة التنفيذية ، بل انه أصبح رجلا مسئولا ككل موظف فى الدولة ، مسئولا عما ادى من أعمال عامة ، ولم يعد وقته ملكا له بل ملك للدولة ، وان عليه التفرغ لاداء واجباته الجسام ، فى تواضع وكفاية ونزاهة .

فقد حرم عليه بموجب المادة ٩٣ من الدستور المصرى الجديد التدخل فى الاعمال التى تكون من اختصاص السلطة التنفيذية أو القضائية ، وفرض عليه حضور جلسات المجلس ، وعدم الاخلال بواجباته . والا كان عرضة لاسقاط عضويته . كما تقضى بذلك المادة ١٠٩ من الدستور سالف الذكر .

واهم من هذا ، أنه زيدت مكافأته فأصبحت ٧٥ جنيها . وهذه المكافأة العالية ، التى لايوجد نظيرها فى أغلب بلاد العالم منظور فيها الى أن النيابة فى الديموقراطية المصرية الحديثة أصبحت عملا مستقلا ، وان النائب يمكن أن يعيش بها دون حاجة الى دخل خاص وقد أحسن المشرع المصرى بزيادة المكافاة الى هذا القدر ، وبهذا ساير أحدث الاراء التقدمية فى امكان اعتماد النائب على المكافاة دون السعى وراء عمل اخر ، وانفاق جهوده فيه ، وهذا مانادى به الكاتب الدستورى الجهير «روس» ، اذ طلب فى كتابه «التمثيل البرلمانى» زيادة مكافأة النائب الانجليزى من ستمائة جنيه فى العام الى الف جنيه ، ليتمكن من المعيشة دون حرمان .

هيئات محلية ديموقراطية

ولبث النظام الديموقراطى فى ربوع البلاد . واقامة حياة ديموقراطية واسعة .. نرى من الواجب الحتمى تكوين هيئات ادارية على اساس ديموقراطى فى الاقاليم . تقوم بادارة المرافق

العامة . واستحدثت المشروعات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والصحية . وتخول لهذه الهيئات استقلالها وتزويدها باختصاصات واسعة على أن تعاونها الحكومة المركزية بما يلزمها من معاونات فنية وادارية ومالية .

وقد اهتم الدستور المصرى الجديد بهذا النظام الديموقراطى وخصه بعشرة مواد . انطوت على تنظيم وحدات ادارية ذات شخصية معنوية . وتختص باعمال منوعة : اقتصادية واجتماعية وثقافية . وهذا النظام الديموقراطى الواسع سيقرر بقانون يوافق عليه مجلس الامة .

ونحن نرى ، توطيدا للحياة الديموقراطية ، المبادرة باصدار هذا القانون لانه ركن من اركان الديموقراطية المحلية . ونعد انشاء هذه الوحدات وتوسيع اختصاصاتها ، وهيبة قراراتها ضرورة قومية .. وتترتب عليها اصلاحات شاملة ، واعمالا نافعة فى مختلف النواحى .

قوانين اصلاحية

وليس قانون الوحدات الادارية هو الواجب الاصدار فورا ، بل من الواجب اصدار القوانين الاخرى التى نص عليها الدستور مثل قانون حماية الملكية الزراعية الصغيرة الذى اشارت اليه المادة ١٣ ، وقانون دعم الاسرة وحماية الامومة والطفولة الذى نصت عليه المادة ١٨ ، وقانون تنظيم شئون التعليم الذى اشارت اليه المادة ٥٠ ، وتنظيم العلاقات بين العمال وأصحاب الاعمال ومراعاة قواعد العدالة الاجتماعية الذى ورد بالمادة ٥٤ ، وقانون النقابات واعطائها حقوقا موائمة للتقدم العملى الذى نصت عليه المادة ٥٥، والقانون الخاص بطريقة استفتاء الشعب فى المسائل المهمة التى تتصل بمصالح البلاد العليا . والذى ورد ذكره بالمادة ١٤٥ ، والقوانين الخاصة بالادارة المحلية التى خصها الدستور بالمواد من ١٥٧ الى ١٦٦ .

هذه القوانين وغيرها من القوانين التى تتناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتنظيمية للبلاد .. منها قوانين تشمل نواح جديدة لم يشملها قانون سابق ، ومنها قوانين موجودة ولكنها

الى تعديل وتوسيع ، ومن الواجب الدستورى على الحكومة التقدم بها كافة لانها من الدعامات الدستورية القوية ، التى يزدهر فى وجودها الحياة الديموقراطية الحقيقية ، ولا يجوز لنا بعد اليوم أن نفعل ما كانت تفعله الحكومات السابقة من اغفال اصدار القوانين التى كان ينص عليها الدستور القديم ، واهملت اهمالا . .

ويهمنا بالدرجة الاولى الاهتمام بالتشريعات الاجتماعية الخاصة بالمعاشات لكبار الاسنان ، والعاجزين عن العمل . والمطلقات اللواتى لا عائل لهن . والمشردين ، والشبان المنحرفين . . والنظر الى تعديل بعض مواد قانون العقوبات . ونظم القضاء لتساير الفلسفة الديموقراطية الجديدة ، وادخال الخدمات الاجتماعية فى المسائل التى تحتاج الى بحث مفرد ، والتى تقضى الديموقراطية الحقة بالتفكير فيها تفكيرا جديا .

مقترحات دستورية

ومما نراه صالحا لديموقراطيتنا الجديدة تقصير مدة النيابة بجعلها ثلاث سنوات أو الربع على الاكثر بدل خمس سنوات . . لان طول المدة تجعل النائب يتوانى فى الخدمة العامة . وقد تسول لبعض النواب استغلال نفوذه والمتاجرة بعضويته ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان السيكولوجية العربية تميل بمزاجها الى التغيير .

وهذا الاتجاه الى تقصير مدة النيابة ؛ هو ما يميل اليه المفكرون المحدثون ، وهو ما تسير عليه بعض البلاد الديموقراطية فى الغرب ، وبعض البلاد العربية . فمدة عضوية النائب فى أمريكا سنتان . . ومدة عضوية النيابة فى سويسرة ثلاث سنوات ، ومدة النيابة فى افغانستان ثلاث سنوات ، وفى ايران سنتان ؛ وفى العراق اربع سنوات .

ومما نراه مفيدا تقليل عدد النواب الى الحد الذى يجعل المناقشة تؤتى ثمارها (١) وان يثبت عدد الاعضاء فلا يزيد أو

---

(١) آراء فى السياسة : هارولد لاسكى .

ينقص بالزيادة المطردة للسكان ، وذلك تخفيفا للاعباء المالية ، وقد قام بهذا التحديد بعض الدول الديموقراطية الراقية ونذكر منها السويد والنرويج والدنمرك ، وقد سار الدستور المصرى الجديد على هذا الرأى فحدد عدد الاعضاء بثلاثمائة وخمسين عضوا ، ونرى تنقيص ثلث هذا العدد بجعله ٢٣٣ عضوا ، يختارون من ذوى الكفاية والتجربة ، والافق الواسع .

ونرى كذلك اننا ما دمنا قد ألغينا المجلس الثانى واكتفينا بمجلس واحد ، أن تمثل الكفايات فى هذا المجلس ، من الذين لم يظفروا بالنجاح فى الانتخابات لاعتبار من الاعتبارات ، أو من رجال الاقتصاد الاحرار ، او الذين تقضى المصلحة الوطنية العليا تمثيلهم من الممتازين من رجال الاقلية ، وفى العمل بهذا الرأى توكيد للوحدة ، وليس فى هذا بدعة ديموقراطية .. انما هو حل واقعى يتواءم مع الوضعية المصرية .

ولا يقل عما سلف أهمية امكان تعديل الدستور فى يسر . ليتساوق مع تطورات العصر ، وحقوق الشعب ، وما تتكشف التجربة الديموقراطية الجديدة عن فائدته . وهذا ماسارت عليه بعض الامم الديموقراطية الجديدة .. ومانادى به كثير من المفكرين السياسيين الاحرار ونذكر منهم الكاتب الشهير هارولد لاسكى . نقول هذا لان مواد الدستور ليست مقدسة ، ولاهى ثمرة العبقرية وانما هى ثمرة الخلق القومى ، ومن الخير تيسير تعديله .

الاجراءات البرلمانية

ومن الامور البالغة الاهمية لتقدم النظام البرلمانى ، وسرعة اعماله ، الاهتمام باجراءات النظام بمجلس الامة . فقد انعقد اجماع المفكرين السياسيين على بطء الاداة البرلمانية وعدم احكامها . وفى ذلك يقول السير ستافورد كريبس : « اننا ننفق الساعات فيما لاطائل يذكر من ورائه . فطلبات التأجيل فى انجلترا تستغرق من وقت المجلس ثمانيا وستين ساعة ، على حين ان تشريع الخدمات الاجتماعية يستغرق منه خمسا وستين ساعة ، كما تأخذ الاسئلة البرلمانية من وقت المجلس (١٣١) ساعة .

والمعروف ان قدرا كبيرا من الزمن البرلمانى يضيع بلا ثمرة

فى المناقشات البرلمانية ، لان بعض النواب يجدون فى اطالة الحديث والنقاش . ازدهاء وغنما للصيت والشهرة . ومن الواجب ترك النقاش للاعضاء الاقوياء المبرزين ، والاشتراك فى اللجان اشتراكا فعليا .

والراى الحديث يميل الى تقييد حق النائب فى الحديث ، والاكتفاء بنصف ساعة مثلا الا اذا رأى المجلس مد المدة . كما ينزع الى التصريح للنائب بالحديث مرتين على الاكثر ، كما هو الحال فى انجلترا . . لاثلاث مرات كما كان عليه الحال فى البرلمانات المصرية السابقة .

والذى يتصفح اللوائح الداخلية للمجالس المصرية السابقة ، يجد بها مواد مؤدية لبطء العمل البرلمانى ، ومن ذلك اباحة المداولة الثانية فى مشروعات القوانين ، ومن الخير اخذ الراى على المبدأ ثم اجراء مداولة واحدة ، وكذا عدم اجازة العودة الى المناقشة فى مسألة اخذ عليها الراى ، وقد لمس المتتبعون للاعمال البرلمانية السابقة آثار البطء فى قانون الوقف مثلا الذى عرض على مجلس الشيوخ ، والجلسات الكثيرة التى استغرقتها مناقشته ، والعودة ثانية الى المناقشة فى مواد انتهت المناقشة فيها .

وليس نظام المداولة الواحدة بدعا ، بل ان بعض الدول مثل فرنسا وانجلترا قد اخذت بها ، ونرى من الخير الاخذ بهذه الطريقة فى المجلس القادم .

ومما يراه المفكرون السياسيون ايضا اضاعة وقت المجالس النيابية فى الرد على الاسئلة الموجهة للوزراء ، وقد تكون هذه الاسئلة لا جدوى منها للمصلحة العامة ، وقد تكون ضارة بها ، ولهذا يرون احالة الاسئلة الى اللجان البرلمانية المختصة للرد عليها ، ليتوفر للمجلس وقت ثمين يمكن انفاقه فى اعمال مجدية .

وما نراه صالحا لسير العمل البرلمانى وتقدمه ، التقليل من عدد اعضاء اللجان البرلمانية ؛ ففى المجالس السابقة كان عدد الاعضاء فى اغلب اللجان يربى على العشرين عضوا ، ومن الخير قصره على خمسة عشر عضوا مثلا ، وان لا يباح الانضمام اليها الا لكل من يأنس فى نفسه القدرة والكفاية على العمل ، ومن الخير

أيضا تقصير المدة لتقديم تقارير هذه اللجان ، وايجاد لجان جديدة لم تكن موجودة كايجاد لجنة للثروة الاهلية وما شاكلها من اللجان .

وأهم مما تقدم اتباع نظام اليوم الكامل فى العمل البرلمانى ، بان يعمل المجلس صباحا وبعد الظهر كالمتبع فى انجلتره ، فاذا كان هذا متعذرا فيمكن اتباعه عند نظر الميزانية ، ويمكن للجان البرلمانية العمل يومين أو ثلاثة متوالية على نظام اليوم الكامل .

وعلى مثل هذه الاجراءات ومثيلاتها ، التى أطلنا الوقفة عندها، تنشط اعمال المجلس ؛ ويكثر انتاجه ، ويسير فى رسالته سيرا حازما رشيدا .

الحلم العربى الحاضر

ولئن كنا قد قصرنا القول على الديموقراطية المصرية فذلك لان تشريعاتها الدستورية والقانونية قريبة التناول منا ، وهى فى قومتها الديموقراطية الحاضرة تسير نحو ديموقراطية سليمة ، بعد ان أزالت العوائق الكأداء التى كانت تحول دون تقدمها الديموقراطى، وعلى رأسها : الاستعمار، والرأسمالية الزراعية ؛ والرأسمالية الاحتكارية ، والاحزاب وبخاصة أحزاب الاقلية التى كانت تلوذ الى وسائل فاجرة للوصول الى الحكم .

وهى اذ تسير فى طريقها الديموقراطى الجديد ، تجد الى جانبها حكومات عربية ، ولها تقاليدها الطيبة ، ودستورها العصرى الذى انطوى على أحدث مبادىء الحرية ، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمواطن العربى .

وليس الروح الديموقراطى الشعبى فى لبنان والعراق والاردن، اقل حيوية وحدة من الروح الديموقراطى فى الجمهورية العربية المتحدة واذا حالت حوائل فى بعض هذه البلاد دون مشاطرة الحكام هذا الروح مع الشعوب ، فانها حوائل سوف تزول فى القريب العاجل او الآجل ، لان فكرية الحكم الديموقراطى تجوب كل بلد عربى ؛ وهى فكرية اصيلة . تستمد جذورها من التقاليد العربية الصالحة ومن التيار الديموقراطى العصرى الجارف ؛ الذى ينطوى على

السيادة الشعبية ، وعلى خضوع الحاكم لحكم القانون العام والدستور .

ومحاولة الحكام في هذه البلاد العربية ، مجافاة الروح الديموقراطي ؛ والتنكر لمبادىء الحرية ، محاولة خائبة عابثة فالفكرة الديموقراطية صارت جزءاً لا يتجزأ من روح الامم العربية ، وسوف تنقشع السحب الكدراء التى تشوب وجه الديموقراطية العربية النبيل .

فالشعوب العربية التى دانت بمبدأ الشورى من قرون وقرون ، لا يقر لها قرار حتى تصل الى حكم صالح لا يكون فيه الحاكم فوق القانون ، وهو حكم الشورى الذى وضع أساسه الوطيد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وبسط القول فيه فلاسفة العرب ، من أمثال الفارابى فى مدينته الفاضلة، والرازى فى آرائه عن سيادة الشعب ، والماوردى فى كتابه «الاحكام السلطانية » عن سمات الحاكم ، وتحدث عنه فى العصور الحديثة أمثال الكواكبى ، وجمال الدين الافغانى ؛ وشبلى شميل ، واديب اسحق ، ومن الساسة أمثال مصطفى كامل وسعد زغلول ، ومن رجال الدين أمثال محمد عبده ورشيد رضا ؛ وغيرهم من الفلاسفة والساسة ، ورجال الدين الفاقهين .

ونحن لا يهمنا سير الحكومات العربية على نظام ديموقراطى متماثل ، بل ان لكل بلد ان يختار النظام الذى يتفق مع تقاليده الصالحة وثقافته ، ودرجة تقدمه . أو بمعنى آخر لا يهمنا نوعية الحكم بقدر ما يهمنا صفته ، ونزوعه الى خير الشعب ؛ والعمل على تحقيق مصالحه ، يهمنا بالدرجة الاولى وجود حكومات عربية شعبية قوية رشيدة ، تتسم بالعدالة والنزاهة والكفاية فى ادارة دفة شئون البلاد والتفانى فى العمل على اسعادها ورفاهيتها .

نقول هذا مؤكدين ان قوة الحكم العربي وعدالتـه ونفـاذه ، ليس اساسا وطيدا فقط لاهداف القومية العربية التى ينـادى بها الكافة ، بل انه سيكون نقطة تحول جذرى فى تقدم الشعوب العربية ؛ ورقى طبقاتها الكادحة العاملة فى ظل سياسة اشتراكية. يكون للحكومات العربية فى البداية زمام التوجيـه والترشـيد والقيـادة .

والايديولوجيـة التى ترسم خطوطها ، لا تقوم عـلى الوعى الديموقراطى السياسى فحسب ، بل على الوعى الاشتراكى الذى يشـترك فيه الحاكم والمحكوم فى اعلاء مسـتوى المعيشة وتخفيف التفاوت فى الدخول وهو الركن الثالث للايدلويولوجية الجديدة ، ونفصل الحديث عنه باختصار فى الصفحات التالية

الاشتراكية الموجهة

- ١ -

فى ظلال الوعى الديمقراطى يتحرر الناس من الخوف ، وينزعون الى الاصالة والخلق ، ولابد أن يقترن هذا الوعى بوعى اخر هو وجوب التحرر من العوز والفقر .

ولا يتأتى هذا الا بتغيير العقلية الساكنة ، وتوجيهها الاتجاه العلمى الصادق ، والى وسائل المعرفة المادية . وفى رحاب هذا الاتجاه يزدهر الكيان الاقتصادى والاجتماعى ، كما سبق أن ذكرنا فى حوافز التقدم الصناعى فى أوروبا فى منتصف القرن الثامن عشر . ولن يتحقق أى تقدم عربى ما لم تشجع النظرة العلمية التجريبية فى السيطرة على المادة ، وعلى موارد الطبيعة بما تزخر من ثروات دفينة (١) .

فلقد مضى على الشرق العربى ، بعد حضارته الزاهية فى القرون الوسطى ، سبعة قرون طوال ، تواكبت فيها عليها كوكبة من الحكام المترفين الطغاة . قتلت فيه روح الحرية والابداع . وتوالى عليه غزاة انتهبوا موارده ، ووأفاه الاستعمار الاوروبى الحديث فامتص ثروته وبخع روحه المعنوى ، فأوجد الفوارق البعيدة فى الدخول بين طبقاته ، وأشاع هذه جميعا بين أبناء العروبة نزعة الرضا والقناعة بالدون ، والركون الى الخمول والعكوف على القدرية والصوفية السلبية المقيتة .

وهو اذ يتيقظ اليوم من سباته العميق ، يتطلع الى قيادة شعبية قوية راشدة واسعة الافق ، ترفع عنه أكفان الماضى ، وتذيب رواسب الذلة والمسكنة والجهالة التى تغلغلت فى كيانه ، قيادة تدفعه دفعا الى نور العلم والى العمل الجاد المنتج ، والى ترك الدعة والى الوعى بالزمن ، لينال حظه من السعادة والرفاهية .

وتتركز هذه القيادة بالدرجة الاولى فى الحكومات القوية الناهضة بل فى الحكومات الثائرة ، التى تبدأ الخطوات الاولى فى

---

(١) الدخل القومى والتطور الاقتصادى - للدكتور حسين عمر ص ١١٥ - ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .

تثقيفه، تثقيفا نظريا وعمليا، وايجاد نظام اقتصادي اشتراكي يغير العقليات الجامدة الساكنة ؛ ويحولها الى عقليات فاقهة منظمة .

وأهم هذه الخطوات التقدمية هي العمل على تصنيع البلاد العربية ، وتخفيف حدة التفاوت الكبير بين دخول الافراد ، ونشر الخدمات الاجتماعية في أرجاء الشرق العربي .

وهذه الاهداف الثلاثة تتطلب ثورة من أعلى كما يقولون ، ثورة عاملة بيضاء ، ترسم الخطط العلمية لزيادة الدخل القومي في كل بلد عربي ، باقامة الصناعات الثقيلة والخفيفة ، وتضع التشريعات الحازمة للتخفيف من حدة الفوارق في الدخول ، بوضع الضرائب التصاعدية العالية على ذوي الدخول الكبيرة ، وتتعهد المواطن بالرعاية من المهد الى اللحد .

— ٢ —

والاشتراكية الحكومية التي ندعو اليها ، هي اشتراكية تتفق مع وضعية البلاد العربية ، اشتراكية لا تعتمد التأميم الشامل ، ولا ترضى بنشوب حرب طبقية ، ولكنها تلوذ الى ايجاد التعاون بين جميع الطبقات بالطريق السلمي ، وتهيب الى التضامن الاجتماعي بفضل المبادىء الروحية الاصيلة في شرقنا العربي ، وبفضل الروح الديموقراطي الذي ينشد الحرية الانسانية والاقتصادية ، ويناضل عن كرامة الانسان ، ومساواته باخيه الانسان ، والحرية في ظل الاشتراكية هي حرية مقيدة من أجل الصالح العام ، والمساواة ليست مقصورة على الحقوق المدنية والقانونية ، بل المساواة في الفرص المادية ، بحصول المواطن على قدر كاف من لوازمه لاشباع حاجاته الاولية من طعام وغذاء وكساء ، وتكافؤ المواطنين في تهذيب شخصياتهم ، لا التكافؤ في خدمة الدولة وطاعتها العمياء .

ويكمن وراء هذه الاشتراكية العنصران الروحي والديموقراطي كما ذكرنا ، فيجد فيها الفقير فرصته ، وتزول من نفسه روح الحقد والحسد على أخيه الغني . وتذوب فيها من العامل كراهيته ، اذ يشعر بعدم استغلاله وبكرامته ، وتسود فيها بين المثقف ؛ ومن لم ينل حظا من التعليم ؛ روح الاخاء والالفة والزمالة .

وهذه هي المثل النبيلة التي تهب الوجود العربي قيمته ، والتي تحدد صفة المجتمع الاشتراكي الذي نصبو الى ترسيم كيانه ، ونرى أن أول واهم ما يجب التفكير فيه هو وضع منهاج اقتصادي زراعي وتجاري تبدأ الحكومات العربية بوضعه وتبادر بتنفيذه .

الاقتصاد الموجه

- ١ -

وأول ما يجب المبادرة بعمله ، هو قيام الحكومات العربية بالصناعات المهمة التي تتوفر فيها خاماتها ، أو التي يمكن استيراد خاماتها دون تكاليف كبيرة ، فالصناعة أفضل ميدان خصب لزيادة الدخل القومي (١) .

وتقوم الحكومات بالصناعات الناجحة الكبيرة التي لا يستطيع الافراد القيام بها » وليس هذا نوع من رأسمالية الدولة . كما قد يجرى فى الوهم . انما هو سبيل لتسهيل التصنيع والتنمية الاقتصادية العامة ، والركيزة القوية للتقدم . وقد كانت هذه هى الطريقة التى اختطتها الحكومة اليابانية قبل حرب ١٩١٤ ،وبلغت بها درجة مدهشة فى الصناعة ، فلم تقتصر على التوجيه على نطاق واسع . بل كانت مستثمرة ومنظمة للصناعات (٢) .

ولزام على الحكومات العربية التوجه الى هذا الاستثمار المادى أولا وقبل كل شيء ، لا التوسع فى المرافق العامة من مثل وسائل النقل والمواصلات ، وموارد المياه والقوى الكهربائية . وان كانت هذه المرافق هى من عوامل الاستثمار الضرورية ، ولكن الذى يخشى منه امتصاص هذه المرافق قدراً كبيراً من رأس المال وبخاصة اذا تميزت هذه الانشاءات المرفقية بالضخامة وعظمة البناء وروعته (٣) .

---

(١) التفاوت فى الدخول ـ للدكتور ألبرت عشم عبد الملك . ص ٤٢٨ ـ الطبعة الاولى ١٩٥٣ ـ دار الفكر العربى .

(٢) الدخل القومى والتطور الاقتصادى ـ الدكتور حسين عمر ص ١٥١ ـ الطبعة الاولى ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ .

(٣) الدخل القومى والتطور الاقتصادى ـ الدكتور حسين عمر ص ٢٣٣ .

ومما لا خلاف عليه أن دعامة منهاج التصنيع هو تمهيد عوامل الانتاج ، وتيسير القوة العاملة لمشروعات الاستثمار واصلاح وسائل المواصلات وانشاء الطرق الجديدة ، ونشر المعرفة الفنية لان هذه العوامل بمثابةالشرارة لاشعال نار الفعالية الاقتصادية(١)

ولكن هذه الانشاءات مع أهمتها ، يلزم أن تكون قليلة التكاليف ، وليست بالانشاءات الخالدة الباهظة التكاليف وما تحتاجه الدول المتخلفة هو الانشاءات العديدة البسيطة المنتشرة فى أنحاء البلاد ، وليست الانشاءات الثقيلة الضخمة التى تتركز فى العواصم (٢) .

— ٢ —

وهذه الاشتراكية — التى نراها واجبة فى المرحلة الاولى للتقدم الصناعى — لاتحتم قيام الدول العربية بجميع عمليات الانتاج بنفسها بل انها الاشتراك مع الافراد والشركات فى ايجاد الصناعات الاخرى اللازمة لتقدمها ، على أن يفضل الاشتراك مع الوطنيين. وهذا الاشتراك تدعو اليه حالة البلاد العربية المالية التى يعوزها رأس المال العينى او النقدى ، ويعوز موظفوها الخبرة الفنية العالية . على أن تكون هذه المشاركة فى الاعمال الانتاجية أو الاستهلاكية الحيوية التى تهم الشعوب بالدرجة الاولى .

وقد سارت بعض الدول العربية شوطا مبشراً بالخير فى هذا السبيل . ومن ذلك قيام حكومتنا ، بانشاء مصنع الحديد والصلب بحلوان ، تؤخذ خاماته من أسوان ، وتعاقدت معشركة ديماج الالمانية على اقامته ، وتألفت شركة مساهمة لهذا الغرض اشتركت فيها الحكومة ، ومجلس الانتاج القومى ، وبنك مصر والبنك الصناعىوشركة مصر للغزلوالنسيج وشركة ديماج(٣)

---

(١) أساسات التنمية الاقتصادية — للاستاذ يونس صالح الحريثى ص ٥٦،٥٧ — ١٩٥٦
دار العلم للملايين — بيروت
(٢) الدخل القومى — للدكتور حسين عمر ص ٢٢٣
(٣) الدخل القومى — الدكتور حسين عمر ص ٢٦٩

وأمثال هـذه المؤسسات التى تسـاهم الحكومات العربية أو المؤسسات ضرورى من أجل تطوير اقتصادنا القومي (١) ، ويلاحظ أنه من الواجب المساهمة فى جملة صناعات كبيرة متصلة لايجاد النمو المتوازن (٢) فاذا استخرجنا الحديد من أسوان أو من الواحات البحرية التى توجد فيها كميات منه فلا مفر من استخدام القوى المائية للاستعاضة بها عن الفحم الذى لايوجد بالاقليم الجنوبى ، وذلك من مساقط اسوان واسنا والقناطر الخيرية ، واندفاع التيار فى مجرى النيل — وبهاتين القوتين : الحديد والكهرباء ، يمكن ايجاد الصناعات الثقيلة التى يفتقر اليها الاقليم الجنوبى .

— ٣ —

واذا كانت الضرورة تقتضى على بعض الدول العربية تشجيع رأس المال الاجنبى ، لقلة الدخول القومية ، فالامل كبير فى التخفيف من هذه الضرورة ، بتشجيع المدخرات لدى المواطنين ، والحصول على الاموال الوفيرة لدى القلة من أصحاب الثروات فى البلاد العربية التى تحتكره فى خزائنها أو تبدده على رفاهيتها واشباع شهواتها ، أو تنفقه فى الاستهلاك الكمالى . ولا ينتفع به فى الانتاج القومى (٣) — وكذا باستخدام رءوس الاموال المكدسة فى البنوك لصالح المشروعات الانتاجية بشكل عام والصناعة بشكل خاص (٤)

وليس شك فى أن تعاون الدول العربية تعاونا اقتصاديا صادقا وعلى أساس المساواة وتبادل المنفعة ، سوف يقضى على دخول راس مال الاجنبى ، وعلى تقليم أظافر الرأسمالية الاحتكارية الاجنبية فى البلاد العربية ، وقد بدت أمارات هذا التعاون فى

---

(١) تطور الحركة الوطنية المصرية للاستاذ شهدى الشافعى ص ٢٣ — ١٩٥٧

(٢) الدخل القومى ، للدكتور حسين عمر ص ١٤٩

(٣) واقع العالم العربى — للدكتور جورج حنا ص ٣٢ ، ٣٨ ١٩٥٤ دار العلم للملايين — بيروت

(٤) تطور الحركة الوطنية المصرية — للاستاذ شهدى الشافعى ص ١٤١ .

المؤتمر الاقتصادى الذى عقده وزراء المالية العرب عام ١٩٥٣ . واقترح فيه انشاء بنك عربى للتنمية الاقتصادية بين الدول المنتجة للبترول وغيرها من الدول الاخرى ، ويقوم البنك باعطاء قروض للحكومات أو المؤسسات التنمية الاقتصادية ، وتضمن الاقتراح جعل رأس مال البنك مائتى مليون جنيه مصرى ؛ ولا ندرى مآل هذا الاقتراح . ولكن المؤتمر وصل الى اتفاقين مهمين هما تخفيض الرسوم الجمركية ، وتسهيل عمليات الدفع ، كما أوصى بانشاء منظمة اقتصادية للشرق الادنى ؛ وتأسيس شركة عربية للملاحة(١)

وهذا الاتجاه العربى القومى بشارة خير ، نرجو أن تسير الحكومات العربية شوطا بعيدا فيه ، لتوثيق الروابط الاقتصادية، وزيادة التنمية الاقتصادية .

— ٤ —

واذا كان من واجب الحكومات العربية الاشتراكية تأميم المرافق العامة كالمواصلات والاضاءة ، ومياه الشرب ، والتليفونات والتلغرافات ؛ فان الابقاء على المشروعات الانتاجية أوالاستهلاكية الخاصة ، من الخير العام ، بل ان تشجيع الصناعات الناشئة من أوجب الواجبات ؛ على شرط أن يكون لها حق الرقابة والاشراف عليها ؛ واتخاذ الاجراءات للاحتفاظ للعمال بالعمل المستمر ، وايجاد أشكال حديثة للتحكيم بين نقابات وأصحاب العمل ، ورفع أجورهم ؛ وتوفير الخدمات الاجتماعية لهم . والمتتبع للاستثمارات الفردية فى بلد كبلدنا يجد انها بلغت ٦٢ مليونا من الجنيهات فى عام ١٩٥٥ ؛ وهذه الاستثمارات وان كانت قليلة ، ولا تزيد الدخل القومى الا بنسبة ضئيلة(٢) الا انه من الواجب حمايتها ، والعمل على زيادتها ، وبث روح الثقة فى نفوس المواطنين؛ كى يخوضوا الميدان الصناعى .

---

(١) تطور اقتصاديات الشرق العربى ، للاستاذ يونس صالح الحريشى ص ٩ و١٠

(٢) تطور الحركة الوطنية المصرية ، للاستاذ شهدى الشافعى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ولا يقتصر عمل الحكومات عند هذا الحد ، بل لا مفر من توجيه هذه الاستثمارات ، فالملحوظ أن أغلب الاستثمارات موجهة للبناء ، دون الصناعات ؛ وأن النسبة الكبرى من المبانى المقامة فى الاقليم الجنوبى هى من النوع الذى يسكنه المترفون واصحاب الدخول الكبيرة ، ومن الخير توجيهها الى الاغراض الانتاجية صناعية أو زراعية (١) .

ومن الواجب أيضا أن تكون الصناعات من النوع الذى يحتاجه الجمهور ، لا من الصناعات الكمالية التى لاتفيد الجمهرة ، ولا ينال العامل من ورائها الا التعب والاجهاد

ولا يقف عمل الحكومات عند هذا . بل لها أن تهيمن على توزيع المنتجات وايجاد رابطة بين الانتاج والاستهلاك ، ووضع سعر معقول لحماية المستهلك ، وزيادة قوته الشرائية . ويرى جورج سول أن من الخير تخفيض أسعار المصنوعات وأثمان الاغذية والحوم ليمكن المستهلك الحصول عليها وتزيادة طلبها وبهذا يزداد ايراد التاجر الذى يؤثر زيادة الطلب مع الربح القليل على قلة الطلب مع الربح الكثير

وفضلا عن ذلك فالحكومات رقابة الاحتكارات الخاصة التى تعيش فى جنباتها وتمتص دماء ابنائها ، رقابة قانونية فعالة أو تقوم بادارة بعضها كما فعلت حكومتنا فى بدء الثورة بادارة شركة السكر الاحتكارية ، وكذا شركة الملح والصودا (٢) .

وتلجأ بعض الحكومات فى بعض الاحيان الى أخذ أرباح مثل هذه الشركات الاحتكارية بعد استيلاء أصحاب الاسهم على فوائد اسهمهم . وهذا ما فعلته السويد مع شركات الخمور .

وليس هناك حد يمكن أن تقف عنده الحكومات لتتدخل من اجل زيادة الانتاج ، وللصالح العام ، وسلطان الحكومات فى العصر الحديث آخذة فى الاتساع(٣) .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٤ .

(٢) تطور الحركة الوطنية للاستاذ شهدى الشافعى .

(٣) يراجع كتاب « العدالة الاجتماعية » للاستاذ صالح ميخائيل . ص ٩٨ ـ ١٩٤٦ مكتبة النهضة المصرية .

التقدم الزراعى

واذا كنا أطلنا الوقوف عند الاقتصاد الصناعى ، وتوجيهه ، والعمل على زيادة المنتوجات الصناعية ، فلأنه حجر الزاوية فى التقدم العربى فى الوقت الحاضر ، ولانه يؤدى بلا ريب الى خلق عقليات جديدة منظمة ، وشخصيات تقدر الزمن ، ولانه العامل الفعال فى رفع مستوى المعيشة فى الاقطار العربية ، ولابد أن يكون له الاسبقيه فى أى برنامج للتنميـة ، وان لم يكن له مبررات أخرى ، فللتخلص من الفائض من السكان الزراعيين فى بلد كالاقليم الجنـوبى (١)

فلم يعد الزراعة فى بلد كالجمهورية العربية المتحدة تكفل العيش للزراع . ومع هذا فلايجوز أن تغفل مثل الجمهورية ، والبلاد العربية الاخرى ، الاهتمام بالتنمية الزراعية ، بالعمل على زيادة رقعـة الارض لزراعة ، وتنويع المحصولات الزراعية ، وتشجيع الزراعات المكسبة منها مثل البطاطس والفاصوليا واللوبيا والبسلة والكتان والخزوع ، بل تجريب زراعات لم يهتم بها للان مثل فول الصويا وهو ذو فائدة فى تغذية الماشية ، وبه كمية كبيرة من الزيت وزراعة مثل هذه المحصولات أجدى من زراعة المحصولات التقليدية مثل القطن فى الاقليم الجنوبى والشعير فى العراق ، والحبوب فى الاقليم الشمالى .

ولا مفر من تدخل الحكومات العربية فى التخفيف من سـوء توزيع الملكية الزراعية ، اما بتحديد ملكية كبار الملاك ، أو وضع ضريبة تصاعدية عالية على الملكية التى تزيد الى قدر معين كمائة فـدان مثلا ، بحيث يصـبح التملك فوق هـذا القدر غير مجد للمالك (١) وقد بدأت مصر خطوة جريئة فى تحديد الملكية الزراعية بمائتى فدان ، والارض المستولى عليها تقرب من ٣٥٥ ألف فدان أى بنسبة ٦ ٪ من الاطيان المزروعة ووزع أكثرها ، وسيوزع الباقى على صغار المزارعين ، وقـد سـار الاقليـم الشمالى على توزيع الاراضى الحكومية على صغار المزارعين ، ولا يزال الاقطاع الكبير

---

(١) الدخل القومى — للدكتور حسين عمر ص ٢٣٩ .

(١) بحث للاستاذ احمد حسين — خاص برفع مستوى معيشة الفلاح المصرى ١٨ — ٤ — ١٩٤٥

يسيطر لي بعض البلاد العربية وعلى راسها العراق .

والملحوظ ان نسبة الضريبة على الاطيان منخفضة ، وان كانت ترتفع نسبيا فى الاقليم الشمالى عما هى فى باقى البلاد العربية الاخرى (١) .

وتقتضى العدالة النظر فى رفع الضريبة نوعا وزيادة معدلها على من يملكون اكثر من مائة فدان مثلا ، وذلك للتخفيف من التفاوت البعيد فى دخول الافراد ، وزيادة الضريبة على التركات الكبيرة لتصحيح توزيع الملكية وهذه هى روح الاشتراكية ، وهى وان اعتبرت تضحية فهى تضحية من أهون التضحيات

تشريعات زراعية مهمة

وتبقى هناك مسائل على جانب من الاهمية لرفع مستوى الزراع ، واصلاح حالهم ، بالعمل على ابقاء الزارع بأرضه الطيبة التى عاش لها وعليها .

١ — ومن هذه التشريعات منع الشركات الصناعية أو التجارية من تملك الاراضى الزراعية ، على ان يقصر هذا المنع على بلاد الريف ، وهذا ماسارت عليه طائفة من البلاد المتقدمة ونذكر منها : روسيا والمانيا وتركيا ورومانيا والولايات المتحدة واليابان والسويد ، وفى هذه الاخيرة نجد ٩٥٪ من الاراضى الزراعية فى يد الريفيين

٢ — قصر المساحة المؤجرة على رب الاسرة ، واعطاؤه قدرا من الافدنة لايزيد عن العشرة او الاثنى عشر فدانا ، وذلك لمنع المتاجرة فى استثمار الارض ، وعلى نطاق واسع ، وحرمان الزراع الاصليين منها ؛ وهذا رأى جدير بالاهتمام ، وقد أدلى به المسيو مارسيل جانفيش فى محاضرة له بجمعية التشريع والاقتصاد (١)

---

(١) يراجع تقرير الامم المتحدة لادارة الشئون الاقتصادية .
(٢) التفاوت فى الدخول للدكتور البرت عشم ص ٣٥٢ ، ٣٦٤
(٣) محاضرة بجمعية التشريع والاقتصاد — نوفمبر سنة ١٩٤٣ عنوانها « المشكلات الريفية بين الملاك والمستأجرين » .

٣ ـ تحديد الايجار بنسبة ضريبة الارض، بسبعة أمثال الضريبة أو ثمانية امثالها حسب جودة الارض . وهـذا سـار عليه الاقليم الجنوبي اذ حدد قيمة الايجار بسبعة أمثال الضريبة .

٤ ـ جعل الحد الادنى لمدة الايجار ثلاث سنوات ، وتجديد المدة مادام المستأجر قائما بخدمة الارض ، ودفع الايجار ، وهذا يسير عليه الاقليم الجنوبي فعلا

٥ ـ منع تجزئة الملكية حتى الملكيات الموروثة ، وتحديد أقل قدر بثلاثة أو أربعة أفدنة مثلا .

٦ ـ وأهم من هذا كله وضع تشريع جديد لايجاد نظام للمزرعة التعاونية وتقديم جميع التسهيلات للمشتركين فى المزرعة من الات وسماد وبذور بأثمان معتدلة . وكذا تدريبهم على الصناعات الزراعية التى تزيد زيادة بارزة فى دخل المزرعة .

ولا يفوتنا فى هذا الصدد التنويه بالعناية بالصناعات الزراعية والمنزلية بالقرى وبالاخص صناعة النسيج ، ومستخرجات الالبان، وصناعة السجاد والكليم ؛ والعسل الاسود ؛ والحرير ، وقيام النساء الى جانب الرجال بمثل هذه الصناعات . وقد ثبت أن القرى التى يقوم رجالها ونساؤها فى مصر بمثل هذه الاعمال . يرتفع مستوى معيشتهم ويزداد أجور عمالهم . ففى قرية كرداسة (بامبابة) وبها مايقرب من ألفى نول للنسيج ، يصل دخل الاسرة الى أكثر من ثمانية جنيهات فى الشهر ، وفى فوه التى تصنع السجاد والكليم : يصل أجر العامل هناك خمسة وعشرين قرشا فى اليوم(١) .

ولسنا بحاجة الى تأكيد أن الصناعات الزراعية والمنزلية بالريف لا تساعد مساعدة فعالة على رفع مستوى الريفى فقط ، بل تؤهل للثقافة الصناعية الكبيرة ، ومن الواجب انشاء وحدات للتدريب الصناعى والزراعى فى القرى ، لانها كما يقول الدكتور شكرى المراغى . نقط الارتكاز الزحف بالصناعات الموجودة الى

---

(١) محاضرة للدكتور شكرى المراغى بالجامعة الامريكية فى ١٩٤٧/٢/١٥

الامام ، وهى نظـام معمول به فى امريكا ومعمول به فى الصـين لتدريب الناشئة على مختلف الصناعات اليدوية (١)

واذا كان الامل وثيقا فى وجود وحدة اقتصـادية بين أبنـاء العروبة فى القريب ، فانه من المتعين ايجاد تعاون صادق فى تبادل المنتجات العربية والمواد الخام اللازمة للصناعة ، ومواد التغذية، والعمل على تنسيق صادرات كل بلد عربى وايجاد نظام موحد عند التصدير الى البلاد الاجنبية او الاستيراد منها ، ويبدو هذا التعاون حتميا فى هذه الاونة التى تعمل فيها الدول الاجنبيـة على محاصرة بعض البلاد العربية المتحررة اقتصاديا ، وآية ذلك كما حدث « منذ خمس سنوات » محاصرة امريكا لسـوريا قبل الوحدة فى بيع الفـائض من قمحهـا محاصرة نازلة ، وطلبت ايطـاليا ٣٠ الف طن من قمح سـوريا فعرض التجار السـوريون تقـديمها بسعر ١٠٥ دولارات لطن ، الا أن أمريكا تقدمت فى المنـاقصة ورست عليهـا بسعر ١٠٣ دولارات وكسور ، كما طلبت اليونان عشرة آلاف طن من القمح عرضـها التجار السوريون بسعر ٩٨ دولار وباعها الامريكيون باقل (٢) .
ولما لمست مصر هذه المحاولات الامريكية لمحاربة اقتصاد سوريا، تقدمت لشراء فائض قمح سوريا لمدة عشر سنوات ، وبهذا قضت على هذه المحاصرة المقيتة . «كان هذا قبل الوحدة أى قبل ١٩٥٨»

ومن هذا المثال الوحيد ، يتجلى أن تعاون البـلاد العربيـة فى تبادل منتجاتها هو هدف قومى جليل ، وعامل من عوامل توسيع السوق العربية الداخلية ، وتعديل ميزانها التجارى .

ويسرنا ان نسـجل أن المجلس الاقتصادى الاعلى لجامعة الدول العربية فى دورته الرابعـة التى عقـدت يوم ٢٥ مايو ١٩٥٧ أقر حرية تبادل المنتجات الوطنية ، وحرية انتقال الاشخاص ،وحرية الاقامة ، وحرية ممارسـة الاستثمار ، كما وافق على مشروع انشاء مؤسسـة مالية لتنمية الاقتصادية براس مال قدره عشرون مليـونا

---

(٢) محاضرة الدكتور شـكرى الراغى بعنوان أوقات الفراغ ومكافحة الامية الاقتصادية . الطبعة الثانية ص ٣٨
(٢) تصريح وزير زراعة سوريا فى ١٠ مايو ١٩٥٧

من الجبهات ، واقر المجلس التوصيات الخاصة بشئون البترول .
فقرر تشاور الحكومات العربية في تنسيق مشروعات التكرير، وتوزيع منتوجاتها وتكوين اسطول موحد من الناقلات لنقل البترول العربي لتموين البلاد العربيه ، كما وافق على مشروعات اقتصادية اخرى مهمة مثل مشروع انشاء شركة للملاحة العربيـة ، وانشـاء شركة عربية للطيران (1) .

وهذه خطوات رائدة في طريق التنمية الصـناعية والتجارية ، نرجو أن تطرد ، وان تبادر الدول العربيـة الى تنفيذ المقترحات آنفـة الذكر .

---

(1) تراجع جريدة البعث في ١٩٥٧/٦/٧ العدد ٥٧

رفع مستوى المعيشة

ومع هذا التقدم النسبي في الاقتصاد الصناعي والزراعي والتجاري فلا يزال مستوى المعيشة في البلاد العربية منخفضا . وقد أبنا فيما تقدم ، أن هذا الانخفاض راجع الى قلة الإنتاج الصناعي . وقلة رقعة الارض المزروعة ، والى التفاوت الواسع في الدخول بين الافراد ، وقد فصلنا القول في طرائق زيادة التقدم الصناعي ، والزراعي ؛ والى العمل على زيادة المساحات المزروعة كما فصلنا القول في طرائق التبادل التجاري ، والعمل على زيادة الصادرات ، وذكرنا في التخفيف من التفاوت في الدخول : زيادة الضريبة على الاطيان وعلى التركات .

ونضيف الى ماتقدم وجوب النظر في زيادة ضريبة الدخل . وقد ادخل الاقليم الشمالي ضرائب الدخل التصاعدية . ولكنها محدودة الاهمية (١) ورفعت حكومة الثورة فئات الضريبة على الدخول الكبيرة ، حتى بلغت ٨٠٪ من الدخل ويلاحظ أن حد الاعفاء في ضريبة الدخل مرتفع ، فالذي يصل دخله ألف جنيه في العام لايدفع ، مع ان متوسط الدخل في بلدنا لايزيد في العام على اربعين جنيها على أكبر تقدير — ومن الخير وضع ضريبة بسيطة على ذوي الدخول المتوسطة ايضا التي تزيد على ٣٠٠ جنيه أو ٥٠٠ جنيه على الاكثر » كما يلاحظ أيضا عدم تناسب تصاعد السعر في الضريبة ، فالتصاعد سريع في الدخول الصغيرة ، بطيء في الدخول الكبيرة .

ولا يتسع المجال في هذا البحث لبسط مايصل اليه أصحاب الدخول الكبيرة من ايرادات وفيرة ، دون دفع ضريبة مناسبة ،

---

(١) تطور اقتصاديات الشرق العربي ، للاستاذ يونس الحريشي ص ٤٥ .

وأغلب هذه الايرادات تنفق فى الترف والكماليات ، والملاهى .

ونود ان نلفت النظر الى أن مستوى المعيشة لا يرتفع بالوسائل الاقتصادية ، بل بطرق اجتماعية أخرى نذكر منهــا نزعه بعض الطبقات المتوسطة فى انفاق مدخراتها على الاشياء الكمالية مجارية فى ذلك ذوى الثراء ، وهذه نزعة محوظة لدى كثير من متوســطى الحال فى مصر ، اذ يلقون اهتمامهم الى شراء الاثاث الفاخر ، واقتناء البوتاجاز والفــريجاديرات ، والثريات البــورية ، مما لا طاقة لايرادهم به ومما لاتنتفع به البلاد ، بل تعود أغلب أثمانه الى البلاد الاجنبية التى تورد مثل هذه الادوات .

والملحوظ ان الطبقة الفقيرة فى أكثر البلاد العربية ينجب العدد الوفير من الابناء دون نظر الى وسيلة اعاشتهم . وهــذا راجع أما لتعدد الزوجات ، او لكثرة حوادث الطلاق ، مما يؤدى الى وجود مطلقات غير قادرات على العيش فى كثير من الاحيـــان ، وهذه الحالات المشجية جديرة بالالتفات وسن تشريعات لوقفها أو الحد منها كما أبنا عند الحديث فى الناحية الروحية .

الروح الانساني

ولن تقوم قواعد الايديولوجية الجديدة الا باعتناق المبدا الانساني على أوسع نطاق ـ فلا تحصر النزعة الانسانية على ابناء العروبة فقط ، بل تشمل البشرية باجمعها . ويقتضي منا هذه النزعة الايمان بالمعايشة السلمية مع جميع البلاد ، والوقوف في وجه الدول النزاعة الى الحرب وقفة استنكار عملي . لان السلام ضروري كما يقول باسترناك لصالح الانسان وتقدمه الثقافي

والسلام ليس غاية ، انما هو وسيلة للتعاون الدولي الصادق والتعاون الاقتصادي والتجاري والثقافي ـ وقد ابنا في غضون هذا البحث ـ ان هنك بعض دول استعمارية لاتبغي الا التمايز على الدول الاخرى ، والا استغلال الدول الصغيرة التي يسمونها بالمتخلفة ، فلا يكفيهم حلب البقرة . بل ربطها من قرونها .

والى جانب هذه الدول ، وجدت كتلة من الدول الاخرى تختلف عنها في نظمها الاجتماعي وفي ايدوجيتها ، والحرب الباردة بين هاتين الكتلتين قائمة لايمكن تيارها ، وأسباب هذه الحرب قد فصلناها في البحوث السابقة .

وقد ابنا سالفا انه لامفر ازاء هذا النزاع المستتر انا ، والصريح انا آخر ، من وجود كتلة انسانية رائدة تقف وقفة ايجابية لمنع هذا النزاع الذي قد يؤدي اذا شبت حرب ثالثة الى الدمار والخراب وفناء المدنية .

وكان من الطبيعي أن تتزعم هذه الحركة الانسانية بلاد شمت من أرجائها الروحية الحقة ، وعلى رأسها الهند ، ثم الجمهورية العربية المتحدة والحجاز . وتعلن في كل فرصة ، وفي كل مؤتمر مواقفها الحيادية ومبادئها انسانية . ونزوعها الايجابي للمعايشة مع جميع الدول على قدم المساواة .

ففي الصراع بين هولنده واندونسيا ، منعت الهند البوارج الهولندية من الوقوف على جوانبها ، كما فعلت ذلك في حرب

انجلترا مع الملايو ، كمـــا منعت الابوارج الفرنسية من الدنو من الشواطىء الهندية فى حربها مع الهند الصينية (١)

ووقفت مصر وقفة البطولة مجاهدة الاحلاف العسكرية التى تزيد التوتر بين المعسكرين الجبارين ، وشاركتها فى ذلك البلاد العربية ماعدا حكومة العراق ، والتى قضت بذلك على بلادها بالعزلة عن العروبة ، وأثارت حولها نقمة الشعب العراقى الباسل

وليست فكرة الحياد فى مصر بنت اليوم ، وانما هى فكرة ولدت منذ عشر سنوات . بل ابعد من ذلك عنـدما أرادت انجلترا جر مصر الى معاهدة للدفاع المشترك بينهما ، وجاهدت الفكرة طليعة الشباب المتحرر وبعض الساسة والمفكرين المصريين البصراء ، ومن بينهم نذكر المرحوم محمود عزمى ، وكان من راى المرحوم حافظ رمضان أن انجلترا وأمريكا اذا ارادتا اتخاذ مصر نقطة ارتكاز هجومى لهما ، فعلى مصر السعى للحصول فى المحافل الدوليـة على قرار بحيدة مصر التامة فى أى نزاع دولى ، كما فعلت سـويسرة التى ظفرت بهذا الحياد وهى فى مركز متوســط بين دول اوروبا (٢)

واذا كان هذا الراى صعب التحقيق فى هذه الايام الا انه يدل على ان فكرة الحياد ليست بنت اليوم ، ولا هى بنت الامس القريب بل هى بنت الاماد البعيدة ، فقد ذكرنا آنفا أن من أسباب الحضارة المصرية فى عهد مصر القديمة هو بعدها عن الغزو .

وفى عام ١٩٥٥ صارت هذه الفكرة حقيقة مجسدة ، سارت عليها حكومة الثورة ، وطبقتها عمليا فى اتصالاتها بجميع الدول دون فارق فعقدت اتفاقات تجارية وثقافية مع الصين الشـعبية . وبادلت محاصيلها من قطن وأرز مع دول شرق أوروبا ، بعد ان كانت هذه المحاصيل مقصورة على دول غرب أوروبا ، تشتريها بالثمن الذى تحدده المحاصيل مقصورة على دول غرب اوروبا ، تشتريها بالثمن الـذى تحــدده .

واصبح لمصر الحق فى استيراد الالات اللازمة لصناعتها بعد أن كانت قبل ذلك لاتحصل الا على مواد استهلاكية ، ذلك لان سياسة

---

١ ــ الحياد الايجابى ــ سعد حماد ص ٤٨ يونيو ١٩٥٦

٢ ــ اراء واحاديث فى سبيل مصر .

الدول الاستعمارية كانت تابى حصول بلد كالجمهورية العربية المتحدة على الالات اللازمة لتصنيعها ، وهى سياسة استعمارية عتيقة . من شانها ابقاء الدول الفقيرة فى مستوى معيشى منخفض .

وبفضل السياسة الحيادية صار لنا الحق فى الحصول على مايلزمنا من الالات والمواد الخام اللازمة لصناعة من الدول التى تريد أن تعيش فى سلام ، وتؤمن بان رفع مستوى المعيشه فى قطر متخلف يساعد على زيادة قوتها الشرائية من الدول الصناعية التى تتبادل معها محصولاتها الزراعية (١) لا الدول التى تدين بسياسة الاستغلال ، والاستعلاء ومركب السمو .

واذا اصبحت فكرة الحياد حقيقة ، فما أجدر بالدول العربية شعوبا وحكومات ان تتخذها عقيدة ، وعنصرا من عناصر الايديولوجية العربية الجديدة ، لانها تنبع أصلا من الروحية السامية ، ومن الديموقراطية العالمية الصحيحة ، ومن الاشتراكية المنصفة .

---

١ ـ بحوث فى الشئون المالية والاقتصادية الدولية والقومية للاستاذ الكبير محمود صالح الفلكى ص ٥٩ .

الخاتمة

وها نحن أولاء نضع اقلام بعد هذه الجولات فى التاريخ والفلسفة والاجتماع والسياسة والاقتصاد . وبعد ان رسمنا خطوط عريضة للايديولوجية العربية الجديدة ، وقد ابنا فيها انه لا مفر لنا وسط البلبلة الفكرية الحاضرة ، وتوزع الاراء بين فكريات متضاربة . من اللواذ الى فكرية موحدة نسير على هديها ، ونتضوأ بنورها .

ورأينا ان الايديولوجية الغربية فى لواذها الى الاستغلال والقوة قد فقدت انسانيتها ، وان الايدلوجية الطائفية لاتصلح الجيل العربى المعاصر ، وان الايدلوجية المادية التى تلغى الملكية وتدين بالوهة الدولة لا تصلح لواقع العربى ، ولا تتفق مع تقاليده . اذ لكل أمة تقاليدها وثقافتها ومزاجها ، ووضعها الاجتماعى ، وأن هذه المقومات التى تشتق الايديولوجية منها كيانها تختلف من امة لامة

وقد استقصينا الايديولوجية العربية من تاريخ العروبة البعيد والحاضر فلمسنا كيف ازدهرت الحضارة العربية فى القرون الوسطى بفضل تواصل قوميتها ، وقوة روحيتها ، واعتناق كثير من أفذاذها حب المعرفة . والنزوع الى التفكير ، بل التجريب وعلى امتصاص ثقافات الامم المجاورة . والتاثر بها تاثرا توجيهيا لايطغى على استقلالها وشخصيتها .

واذ نحن نشهد صحوة عربية شاهدة . بعد سبات قرون رأينا تبيان العوامل المؤدية الى التغير والتقدم ، وذكرنا على راس هذه العوامل ، العامل الثقافى والاقتصادى والانسانى وأتينا بشواهد حضارية متغلغلة فى القدم وشواهد حضارية من التاريخ الحديث وانتهينا الى انه لامناص لنا فى احداث نهضة عربية حقيقية من تمثل النزعة الروحية فى نقائها وشفوفها ، ومن اعتناق مبدأ الحرية والديموقراطية كأسلوب حياتى وحكمى ، والمبادرة الى الروح الاشتراكى المنصف ، لرفع مستوى المعيشة فى اقطارنا العربية ، والتحصن بالروح الانسانى العام الذى يقينا شر الاصطدام وكبات الحروب ، ويعاون على التقدم والرفاهية .

وعلى اضواء هـذه العناصر الاربعة المتفاعلة المتكاملة تنمحى التوترات فى شعوب العربية ، وتتقوى روح المساواة والعدالة والكرامة الانسانية ، وتجد الامم العربية شخصيتها وطابعها الاصيل المميز لها بين الامم الاخرى .

ولسنا بهذه الفكرات نعدو على عقيدة بعينها ، ولا نتحيف على مذهب تعتنقه بعض الجماعات ، وكنا فى أخلاص نقرب بين وجهات النظر ، باستنبات اصلح ما فى الماضى من تقاليد ، ونستهدى بالوضع العربى الحاضر ، والعمل على تغيير المعوج فيه ، وتطويره لقابل مزدهر لعروبة . واذ كنا لجأنا فى هذا التخطيط الى الفكرات المجردة فقد اتبعناها بالوسائل العملية لتطبيقها بقدر ما اتسع له مجال البحث . ويمكن تلخيص ماوصلنا اليه فى النتائج الكبيرة التالية وهى :

١ ـ اعتناق المبادىء الروحية السامية الداعية على المحبة والتسامح الحقيقيين ، وبثها فى معاهد العلم . والوقوف فى وجه الروح الطائفية المميمة بين الافراد أو الجماعات .

٢ ـ تثبيت قواعد الحكم الشعبى ، ونشر الروح الديموقراطى على أوسع نطاق والعمل على ايجاد التضامن بين الشعوب والحكومات العربية .

٣ ـ احداث ثورة صناعية تقوم على العلم والخبرة الفنية فى كل بلد عربى ، مع ايجاد التعاون الصادق بين اقطار العروبة فى النواحى الاقتصادية والتجارية والثقافية .

٤ ـ متابعة الروح الاشتراكي المنصف للتخفيف من الفوارق فى الثروات ، والتفاوت البعيد فى الدخول .

٥ ـ الحذر من محاولات الاستعمار ، وسعيه فى التدخل فى شئون اى بلد عربى باية حجة . واعتناق مبدأ الحياد الايجابى ، والعمل على توثيق العلاقات الاقتصادية والثقافية والتجارية ، مع جميع الاقطار المحبة للسلام والتعاون القائم على المساواة والمنفعة البريئة المتبادلة .

٦ ـ العمل على احداث تغيير جذرى فى الكيان الاجتماعى باصدار

لشريعات تقدمية ، تقضى على روح المادية المنتشرة فى كثير من الاقطار العربية . وعلى العادات والاعراف التى ترسبت فى عهود الظلام . ورفع مقام المرأة الى المكان اللائق بها . لتكون عاملا فعالا من عوامل التقدم العربى .

***

هذه هى زبدة ما سجلناه فى هذا البحث ، وفى غضونه فكرات اخرى ليست اقل أهميـــة من تلك التى ذكرناها . وهى فكرات لا نفرض الاخذ بها فى كل بلد عربى ، بل طرحها للبحث والتفاهم عليها ثم الاتفاق بعدذلك على مايترشح من آراء قيمة صالحة لمجتمع عربى صاعد .

وقد راج فى اذهان بعض الادباء والمفكرين أن وضع فكرية عربية امر سابق لاوانه . وان العروبة ليست بحاجة الى مذهب اسوة بالبلاد الاخرى ، وأن ايجاد مذهب فلسفى خاص بها فى مرحلتها الحالية ضرب من المحال . وان عليها ان تتم شمل كيـــانها المـــادى والى أن يتم جمع هذا الكيان فى دولة موحدة او اتحادية ينبغى وضع خطة لا مذهب . خطة مؤقتة تنتهى مهمتها بوصـــول العروبة الى هدفها القصير . حتى اذا وصلت الى هذه النقطة بالذات ، تستطيع أن تفكر فى الفلسفة . وفى اعتناق المذاهب الجديدة والتى هى ليست غربية محضة ، ولا شرقية محضة(1) .

والحق أن وجود المذهب .. هو بمثابة مشكاة تكشف لنا معالم الطريق ، وتوجه خطـــانا على أرض صـــلدة . وتجعلنا نتفق على المبادىء الاساسية . لنثبت وثباتنا المرموقة فى وعى وادراك سليم لاهدافنا المرجوة .

ولم تعد الفلسفة فى الوقت الراهن آراء نظرية فحسب ، بل انها اعمال . لم تعد نظريات خيالية ، بل تطبيقات وجـــولات فعلية ، فضلا عن أن ايجاد مذهب الوايديولوجية ليس امرا سابقا

---

(1) مجلة الآداب مقال : العروبة والمـــذاهب المعاصرة ــ على بدور ــ يونيو ١٩٥٧

لاوانه » فان الاذهان العربية قد أثمرت في الفترة الاخيرة خمائر صالحة لمثل هذه الفكرية التي ننادي بها ، وفي بعض دساتير البلاد العربية ما يشكل هيكلا لهذه الفكرية .

فرجعة الى الدستور المصرى « قبل الوحدة » مثلاً نجد ان المادة الاولى منه تنص على ان الشعب المصرى جزء من الامه العربية . ولعل هذه اول مرة يعترف فيها قانون عام بالقومية العربية ..

والمادة الرابعة منه تضع التضامن الاجتماعى أساسا للمجتمع المصرى ، وبهذه المادة تعزيز لما جبلت عليه الطبيعة المصرية من بعد عن الصراع الطبقى ، وتأكيد لهذه الطبيعة .

وتعترف المادة الخامسة منه بالعنصر الروحى ، فتنص على ان الاسره أساس المجتمع وأن قوامها الدين و الاخلاق والوطنية . وبهذا نبتعد عن المذهب المادى الذى يقر وجود الدين كعامل من عوامل التهذيب والتعدم .

فاذا تقدمنا خطوة . وجدنا المادة السادسة تنطوى على مبادىء الديموقراطية الرشيدة وتنص على ان الدولة تكفل الحرية والامن والطمأنينة ، وتكافؤ الفرص للجميع .

وتتناول المادة السابعة والثامنة والتاسعة ، الكيان الاقتصادى وتنطوى على اباحة التدخل الحكومى فى الاستثمارات الخاصة للصالح العام . فتنص المادة السابعة على تنظيم الاقتصاد القومى وفق خطط مرسومة تراعى فيها مبادىء العدالة الاجتماعية وتهدف الى تنمية الانتاج ورفع مستوى المعيشة .

وتبيح المادة الثامنة حرية الاستثمارات الخاصة على الا تضر بمصلحة المجتمع ، كما تنص المادة التاسعة على استخدام راس المال فى خدمة الاقتصاد القومى وأن لايتعارض فى طرائق استخدامه مع الخير العام للشعب .

ولم يقف هذا الدستور عند الناحية الروحية والاقتصادية ، بل شمل الكيان الاجتماعى فنصت المادة ١٨ على دعم الاسرة وحماية الامومة والطفولة ، والمادة ٢٠ كفلت حماية الناشئة من الاستغلال ووقايتها من الاهمال الادبى والجسمانى والروحى .

فاذا تركنا هذه المواد ومثيلات لها ، وقفنا فى ديباجة الدستور على ديباجة رائعة نوهت بفضل الشعب الذى انتزع حقه فى الحرية والحياة بعد معركة متصلة ضد السيطرة الخارجية والسيطرة الداخلية ، والذى يرسم لنفسه . مستلهما العظة من ماضيه والعزم من حاضره . يرسم لنفسه معالم الطريق الى مستقبل متحرر من الخوف والذل والحاجة . ويبنى بعمله الايجابى وكل طاقته وامكانياته مجتمعا تسوده الرفاهية ويتم له فى ظلاله القضاء على الاستعمار واعوانه والقضاء على الاقطاع ، والقضاء على الاحتكار ، واقامة جيش وطنى قوى . . وعدالة اجتماعية . . وحياة ديموقراطية سليمة ..

فمثل هذه النصوص الرائعة هى لب لخير ايديولوجية عربية اذا نهض الكتاب والمفكرون الاذكياء بتوضيحها ، وبسط القول فيها وبادرت الحكومة بتطبيقها تطبيقا صادقا ، وقد فصلنا الحديث وحددنا القول فى العناصر المؤدية الى التقدم والرفاهية فى الاقليم الجنوبى والبلاد العربية الاخرى .

والامل معقود على الصفوة المفكرة فى التفاهم على اصول هذه الايديولوجية وتفصيل هذه الاصول واشاعتها فى الجمهورية العربية وعلى الزعامة الديناميكية المناضلة . ورجاؤنا الوثيق السير على نورها ، وفى الشعوب العربية كل الثقة فى احداث التغير الذكى العاجل لمجتمع عربى متحضر هانىء سعيد .

هيئة قناة السويس

هكذا تعبر السفن القناة

---

٢ — استقبال السفن القادمة إلى بورسعيد

يراقب برجا المراقبة الكائنان فوق مبانى الهيئة فى بور سعيد وبور توفيق وصول السفن القادمة من البحر ، وعندما تظهر إحداها يخطر قسم الحركة بوصولها .

وفى بور سعيد ، عندما تقترب السفينة من شمندورات الإرشاد الخارجية للبوغاز تطلب المرشــد إما برفع الإشارة الخاصة على أحد صواريها أو بالتليفون اللاسلكى فتتصل سفينة الإرشاد التابعة للهيئة والموجودة فى عرض البحر بمكتب الميناء بوساطة التليفون اللاسلكى وتوافيه بكافة البيانات التى تفيد فى تعيين المرشد اللازم لتولى عملية إرشاد السفينة فى الميناء إذ يتم اختياره تبعاً لحمولة السفينة ونوع شحنتها .

اخترنا للطالب

تقدم يوم الاربعاء القادم
٧ فبراير سنة ١٩٦١

تطور التصنيع

فى عالم البناء

بقلم

دكتور جمال جاد

الثمن قرشان

الدار القومية

للطباعة والنشر

شركة ذات مسئولية محدودة

كتب ثقافية

تقدم يوم الخميس القادم
٩ فبراير سنة ١٩٦١

حجة الاسلام



طه عبد الباقى سرور

الكتاب ٩٢ — الثمن قرشان
صدر يوم الثلاثاء ٧ فبراير (شباط) سنة ١٩٦١